كتاب الشهر 3 2005

مستقبل الثقافة العربية

في ظل العولمة

الدكتور، نجاح قدور

المركز العالمي
لدراسات وأبحاث
الكتاب الأخضر

مستقبل الثقافة
العربية في ظل العولمة

الطبعة الثانية 2007م

الإيداع القانوني :
الترقيم الدولي رد . ملك ISBN 9959-26-038-0
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

www.greenbookstudies.net
هاتف 9090509 - 9096379 - 9097074
بريد مصور 9097073
البريد الالكتروني nat_lib_libya@hotmail.com

تنفيذ فني :
القبس للأعمال الفنية

مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة

■ الدكتور: نجاح قدور

إهـــــــداء

إلى أمي الحبيبة الراحلة ..... التي حببت إليّ القراءة وطلب العلم .... وشجعتني على الحب والعطاء .

إلى أبي الحبيب الراحل .... الذي كانت أول هدية منه عبارة عن كتاب قيم .... والذي كان يقدر العلم والعلماء رغم أميته .

إليهما أهدي هذا الكتاب .

الدكتور : نجاح قدور

	فهرس الكتاب	الصفحة

المقـــدمة

يُعد هذا الكتاب دراسة وصفية نقدية لظاهرة العولمة بهدف الوصول إلى إمكانية تفاعل البلدان العربية معها والتأثير فيها وبمعنى آخر يعتبر هذا الكتاب مقاربة خاصة لظاهرة العولمة والإسهام في فهمها وتحليلها وتوضيح آثارها خاصة وأن العولمة أصبحت من أبرز الموضوعات التي فرضت نفسها خلال عقد التسعينات في سياق التطور العالمي على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي فقد اختلف الباحثون حول نشأتها وتطورها فقد أرجعها البعض إلى عام 1492عام سقوط غرناطة وطرد المسلمين من إسبانيا وبداية اكتشاف العالم الجديد وبذلك اعتبروها ظاهرة تاريخية موغلة في القدم. وهناك من رأى أن العولمة هي نتاج للثورة العلمية والتكنولوجية التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية فهي إذن ظاهرة موضوعية عالمية لا يمكن إيقافها برغبة ذاتية بل يجب التكيف اللازم لعمل آلياتها بما يحقق تقدم البشرية وتقليص الأخطار التي يمكن أن تنتج عنها خصوصاً فيما يتعلق بالفوارق الاقتصادية التكنولوجية بين الدول المتقدمة والبلدان السائرة في طريق التنمية والبلدان الأقل نمواً لاستغلال إمكانيات وموارد هذه البلدان لصالح الدول المتقدمة.

وفي هذا الإطار يرى خبراء الأمم المتحدة أن العولمة فرصة متاحة لبلدان الجنوب للاستفادة من انعكاساتها الإيجابية في علاج المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها خاصة في مجال الاستفادة من نقل التكنولوجيا والاستثمارات الأجنبية المباشرة وبذلك تعتبر تطوراً من أجل صالح الإنسانية جمعاء على الرغم من اعترافهم بوجود مخاطر اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية عديدة لهذه الظاهرة.

ولاشك أن البلدان العربية لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن هذه الظاهرة فقد أحدثت العولمة أثاراً اقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة على البلدان العربية، ومن هذه المعطيات جاء هذا الكتاب ليسلط الأضواء على الآثار المحتملة للعولمة على الثقافة العربية وسبل مواجهتها.

والكتاب يحتوي على أربعة مباحث : تناول المبحث الأول الملامح العامة للعولمة الثقافية والتي من خلالها تهدف إلى صياغة ثقافة عالمية ، أقل ما يقال عنها أنها ثقافة اختراقية من ناحية ، كما يتضح ذلك من خلال مكوناتها ، وأنها من ناحية أخرى ثقافة استهلاكية كما يتضح ذلك من خلال السمات التي تميزها .

أما المبحث الثاني : فقد حاول إبراز بعض أخطار العولمة المتمثلة على الخصوص في الإرهاب الحضاري الثقافي ، الذي تمارسه على الثقافات العالمية ، والتي من بينها الثقافة العربية ،

فالثقافة العربية مستهدفة من خلال العولمة ، التي تحاول بطرق متعددة اختراقها وتشويهها ، وتؤدي بالتالي إلى انعدام الأمن الثقافي العربي .

ومثلت العولمة والهوية الثقافية محور البحث الثالث ، والذي من خلاله تم تحديد مفهوم الثقافة وغيره من المفاهيم ، وخاصة المفاهيم ذات العلاقة مثل مفهوم الهوية الثقافية ومكوناتها ، ومفهوم الخصوصية الثقافية والانتماء الثقافي .

أما المبحث الرابع والأخير ، فقد تناول الآثار المحتملة للعولمة على الثقافة العربية وسبل مواجهتها . وذلك بعد توضيح أزمة النظام العربي الثقافي ، مع تبيان أهم الخطوات الاستراتيجية المناسبة للحفاظ على الثقافة نظراً لما تتميز به من خصائص تؤهلها للعالمية .

وتم هذا المبحث بتحديد الأدوار المنوطة ، والتي تقع على عاتق المثقف العربي تجاه مخاطر العولمة على الهوية الثقافية العربية .

ويمكن القول بأن المناقشات الهامة التي دارت في هذا الكتاب

لما يمكن اعتباره أكثر القضايا أهميـة في شغل الرأي العام الدولي للعـولمة وما تشيره من إشكاليات وحـذر وتخوف من سلبياتـها وكيفية الاستفادة من إيجابياتها خاصة وأنها تشكل تحدياً خطيراً بالنسبـة للثقافـة العربيـة لذلك فـإن التعـامل مع أبعـاد العـولمة يحتاج إلى تظافر جهود المواطنين وصانعي القرار للتعامل معها، لأن السبيل الوحيد أمام البلدان العربية هو التفاعل الايجابي مع متغيرات عصر العولمة.

إن الأفكار المطروحة في هذا الكتاب حصيلة مسيرة علميـة ، استشرفت المستقبل .
كما استقت الحقائق من الواقع الاجتـماعي والثقافي العربي ، فتميزت بالأصالة والعمق .

وأخيراً فإنني بهذا الجهد العلمي الذي أقدمه للمهتمين بالشأن الثقافي في وطننا العربي لأشعر أنني قد قمت بواجب علمي ، وطني كان عليّ أداؤه .

" والله ولي التوفيق "

الدكتور : نجاح قدور
طرابلس / شتاء . 2001

المبحث الأول :
الملامح العامة للعولمة الثقافية

هناك ملامح متعددة للعولمة اقتصادية وسياسية وثقافية واتصالية، فالعولمة بذلك لا تقنع من خلال الآليات الاقتصادية بتشكيل نسق من القيم الكونية يريد أنصارها أن تعم مختلف دول العالم وبلدانه، بل أنها على الصعيد الثقافي تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني.

فهناك اتجاه صاعد يضغط في سبيل صياغة نسق ملزم من (القواعد الأخلاقية الكونية).

ومطروح الآن في الساحة الفكرية العالمية أكثر من مشروع لصياغة هذه القواعد وبعضها مستمد من الأديان السماوية الثلاثة، بالإضافةإلى الخبرة الإنسانية الممتدة، وما يسمى بـ (الثقافة المدنية) والتي تركز على الحرية السياسية والتعددية الفكرية وأهمية المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان.[1]

وفيما يلي لمحة موجزة عن ملامح العولمة الثقافية :

أولاً : الاتجاه نحو صياغة ثقافة عالمية :

إن العالم يتجه نحو إقامة ثقافة تتناسب والعولمة الاقتصادية وما تتضمنه من معايير. أهمها نشر ثقافة السوق وفتح البلدان

في وجه الثقافة الغربية وما تحمله من تقانة ، وبعبارة أخرى فإن الدول المتقدمة الفاعلة في النظام العالمي الجديد تسعى جاهدة نحو صياغة ثقافة عالمية، أو بعبارة أدق تسعى هذه الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية نحو قولبة العالم في ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية الليبرالية. ونشر قيمها ومعاييرها، وذلك بهدف ضبط سلوك الدول والشعوب.

وهكذا يتضح بأن ثقافة الدول المتقدمة تتجه نتيجة ثورة الاتصالات التقنية - التي حققتها - نحو تنميط جميع ثقافات العالم، وإدخالها في إطارها الخاص وقيمها الذاتية، تساعدها في ذلك وسائلها القوية التي لم تتوافر من قبل في التاريخ لأي حضارة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة العالمية المسيطرة الآن هي ثقافة الغرب ، وهي ثقافة تسلطية نتيجة شعورها بالقوة، ونتيجة استغلالها السياسي ، وتوافر وسائل الهيمنة لديها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التنميط الثقافي الذي تستدعيه العولمة استدعاء هو جزء عضوي ومكمل للاستعمار الحديث الاقتصادي والسياسي، وهو يتوصل لأهدافه بمختلف الوسائل، وبخاصة بتقنيات الاتصال الحديثة، ونظم التعليم والتدريب، ونشر المفاهيم والقناعات، واستخدام وكالات الأنباء، والخبراء، والأفلام والسياحة، مما يشكل خطراً على الثقافات الأخرى، وتهديداً لهويتها الحضارية.[2]

ثانياً : الاتجاه نحو نشر ثقافة الاختراق :

يرى أحد الباحثين أن العولمة تهدف إلى نشر ثقافة يكون من شأنها اختراق ثقافة الشعوب وسلبها خصوصيتها ، (والاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة يريد الغاء الصراع الأيديولوجي والحلول محله) .لأن الصراع الأيديولوجي صراع حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتشريع للمستقبل، أما الاختراق الثقافي فيستهدف الأداة التي يتم بها ذلك التأويل والتفسير. والتشريع : يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم : (الإدراك).

لقد حل هذا اللفظ اليوم - الإدراك- محل لفظ آخر كان كثير الاستعمال بالأمس، في عصر الصراع الأيديولوجي، لفظ "الوعي" (الوعي الطبقي، الوعي الوطني،الوعي الديني) . كان الصراع الأيديولوجي وما يزال يستهدف تشكيل الوعي، تزييفه أو تصحيحه...الخ. أما "الاختراق الثقافي" فهو يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه وتوجيهه وبالتالي سلب الوعي . والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية.

1- اختراق ثقافي أم صراع أيدلوجي :

في زمن الصراع الأيديولوجي كانت وسيلة تشكيل الوعي هي الأيديولوجيا ، أما في زمن الاختراق الثقافي فوسيلة السيطرة على الإدراك هي الصورة السمعية البصرية التي تسعى إلى "تسطيح الوعي" إلى جعله يرتبط بما يجري على السطح من صور

ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري مثير للإدراك مستفز للانفعال حاجب للعقل... !

وبالسيطرة على الإدراك، وانطلاقاً منها يتم " إخضاع النفوس " أعني تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم ، وتوجيه الخيال ، وتنميط الذوق وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع : معارف إشهارية تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه "ثقافة الاختراق". (3)

ولا يعني حلول الاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي موت الأيديولوجيا.

كما يريد المبشرون بالعولمة أن يوهموا الناس." كلا إن الاختراق الثقافي، بالعكس من ذلك محمل بأيديولوجيا معينة، هي أيديولوجيا الاختراق، وهي تختلف عن الأيديولوجيات المتصارعة كالرأسمالية والاشتراكية، في كونها لا تقدم مشروعاً للمستقبل،و لا تقدم نفسها كخصم لبديل آخر تسميه وتقاومه، وإنما تعمل على اختراق الرغبة في البديل وشل نشدان التغيير لدى الأفراد والجماعات.

2- مكونات ثقافة الاختراق :

إن أيديولوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس مجموعة أوهام ، هي نفسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حصرها باحث أمريكي في الأوهام الخمسة التالية : وهم الفردية، وهم الخيار الشخصي، وهم

الحياد، وهم الطبيعة البشرية التي لا تتغير، وهم غياب الصراع الاجتماعي.

وفيما يلي توضيح لهذه الأوهام : -

أ- وهم الفردية : يعني اعتقاد المرء أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته ، وأن كل ما عداه أجنبي عنه. لا يعنيه، إنما يعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضواً في جماعة، وفي طبقة وأمة. وبالتالي فإن وهم الفردية هذا إنما يهدف إلى إلغاء الهوية الجماعية والطبقية والوطنية، وكل إطار جماعي آخر، ليبقى الإطار "العالمي" بل العولمي - هو وحده الموجود.

ب- وهم الخيار الشخصي : وهو يرتبط بالوهم الأول ويكمله، إنه باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية ويعمل على طمس الروح الجماعية، سواء كانت على صورة الوعي الطبقي أوالوعي الوطني أو الشعور الإنساني.

ج- وهم الحياد : وهو يدفع بالأمور خطوة أخرى في الاتجاه نفسه : فمادام الفرد وحده الموجود، ومادام حراً مختاراً فهو "محايد" وكل الناس والأشياء إزاءه "محايدون" أو يجب أن يكونوا كذلك. وهذا من شانه أن يكرس التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية - أو مسؤولية - ومن هنا ذلك الشعار الذي انتشر في السنين الأخيرة : شعار : "وأنا مالي".

د- وهم الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير:

ويرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الإغنياء والفقراء، بين البيض والسود ، بين المستغلين وبين من هم ضحايا الاستغلال، وقبول هذه الفوارق الطبقية باعتبارها أموراً طبيعية كالفوارق بين الليل والنهار والصيف والشتاء، وبالتالي شل روح المقاومة في الفرد والجماعة.

هـ - وهم الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي: ومعناه الاستسلام للجهات المستغلة، من شركات ووكالات وغيرها من أدوات العولمة، وبعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة.(4)

وهذا الاتجاه يقوم على دعاوي براقة مثل نشر الثقافة المدنية، والتعددية الفكرية، إلى جانب احترام حقوق الإنسان ، وهي في الحقيقة دعاوي مغرضة تهدف إلى نشر ثقافة الاستهلاك.

ثالثاً : الاتجاه نحو نشر ثقافة الاستهلاك :

إن أي ثقافة تزدهر وتنشط بقبول الأخر. والثقافة الغربية أو الأمريكية على الخصوص ، التي يراد لها أن تسود وتهيمن، تعتبر ثقافة استهلاكية رغم مالها من بريق أخاذ يخطف الأبصار، إلا أن هذا البريق لا يتغلغل في الشعور والوجدان ،لأن كل مايأتي سريعا خاطفاً يذهب ويتلاشى بريقه بالسرعة نفسها التي أتى بها. لذا نراها في كل ساعة تأتينا بجديد لتبقينا في حالة الذهول المستمرة التي لا نفيق منها ليس وحدنا نحن العرب وإنما

جميع الشعوب. حتى من الكتلة الأوروبية الغربية، فأصبحت في حالة من عدم الارتياح.[5]

1- بعض نماذج ثقافة الاستهلاك :

لقد أصبحت الأفلام الأمريكية تهيمن ليس على الشاشة الكبيرة - السينما - فقط ، وإنما كذلك على التلفزة، ليس في البلدان السائرة في طريق التنمية أو في البلدان الأقل نمواً وإنما أيضاً بين دول أوروبا نفسها ، وبدا أن أكثر من جيل تربى على "رعاة البقر" (الكاوبوي) والسوبرمان والمثاليات الأمريكية بدءاً من الأشياء المادية إلى ألوان الأدب، بعد أن زادت هيمنة المؤسسات الأمريكية قبل ذلك في عديد من الأقطار، وأصبح من المتكرر ملاحظة ترجمة الأدب الأمريكي في العالم المتقدم والمتخلف سواء بسواء. وهو ما يقال عن المجلات والصحف بما لعبته اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها أكثر من نصف الكرة الأرضية. وهو ما خلف تغييرات كثيرة في السلوك الحركي والأداء النفسي ،والإقبال على رموز مضمرة خطيرة في المسلسلات الأمريكية التي لا تكاد تخلو منها أي بلد في العالم كله اليوم.[6]

ومن هذه المسلسلات "الجريء والجميلات"، الذي عرض يوميا في القناة الرئيسية للتلفزيون المصري،وفي وقت الذروة من حيث الإقبال الجماهيري، والجريء ممثل اسمه "ريدج" ومعه عائلته التي تعمل في تصميم الأزياء وإنتاجها. في هذا السياق هناك طبعا الكثيرات من الحسان الجميلات بل ربما المبهرات في الأناقة

والجمال من وجهة نظر المشاهدين والمتابعين من المراهقين والمراهقات. في المسلسل أيضاً كل المبهرات المعتادة هنا من "مصنع الأحلام" المصورة - سينما وتلفزيون - في هوليوود، هناك جمال وأناقة وعطور تكاد تخرج من الشاشة لتخدر المتفرجين، وهناك أيضاً جنس وعنف وجريمة وثراء سريع وأموال سهلة مصدرها صناعة الأزياء، ومن خلال سيناريو محبوك وحوار سريع الإيقاع يجد المتفرج أمامه أنماطاً سلوكية جذابة ومغرية. فالمرأة العصرية مثلاً يعتمد جزء أساسي من عصريتها على أن تلاحق الموضة المتجددة في الأزياء سنة بعد سنة، بل موسما بعد موسم. وخبراء الأزياء يبدون بأهمية علماء الطاقة النووية، وربما أكثر فالأزياء لها أسرار كبرى تستحق التجسس و أجهزة الأمن وجمع المعلومات ومطاردات المنافسين ورحلات بطائرات خاصة ويخوت وسهرات ومؤتمرات صحفية، وفي لمح البصر تتدفق الثروة بملايين الدولارات.

هناك الجنس أيضاً. لكن أي نوع من الجنس وفي أي إطار؟ الولد يشتهي زوجة أخيه. والأب يرافق زوجة ابنه، والدخلاء الجدد من أصحاب بيوت الأزياء - الدخلاء الفقراء - كل طموحهم هو أن يصبحوا أعضاء جدد في نادي رجال الأعمال. لكن الباب الوحيد الممكن أمامهم هو أن يتصرفوا كتابعين أو لصوص، أما إذا أرادوا السرعة فطريقها هو العلاقات الجنسية مشروعة إن أمكن، وغير مشروعة إذا لزم.

هناك طموح ونجاح، لكن الطموح محوره المال، والنجاح قيمة

مستقلة بذاتها بصرف النظر عن المشروعية والارتباط بالمجتمع، نجاح له طريق غير مضمون هو العمل المنتج، وطريق أسهل هو الانفصال عن القيم واختصار الطريق من خلال الجريمة أو الخيانة الزوجية أو التجسس داخل الأسرة الواحدة أو الحمل غير المرتبط بزواج...الخ.[7]

2- سمات ثقافة الاستهلاك :

من خلال ما سبق يمكننا أن نحدد معالم ثقافة الاستهلاك بالسمات التالية :[8]

أ - أنها ثقافة تبريرية وتخديرية، تنمي روح الاستهلاك والابتذال والسلبية.

ب - أنها ثقافة تجزيئية، براجماتية وضعية نفعية تفتقد الأسس الموضوعية والرؤية الكلية الشاملة والحس الاجتماعي والوطني.

ج - أنها ثقافة لحظية آنية جامدة أحادية الاتجاه تفتقد الحس التاريخي الشامل والخبرة المتراكمة.

د - أنها ثقافة شكلية خالية من العمق الإنساني والإبداعي.

هـ - أنها ثقافة سطحية فردية مبتذلة تفتقد الحس العميق بالهوية الذاتية والوطنية، وتهدف إلى تزييف الوعي والتقليل من أهمية التراث والقيم عامة.

كما تهدف أيضاً إلى اقتلاع ثقافات الشعوب الأخرى من جذورها، وإبدالها بثقافة براقة الظاهر، ولكنها خاوية المضمون.

المبحث الثاني :
العولمة والارهاب الحضاري / الثقافي :

أولاً : بعض نماذج الإرهاب الثقافي / الحضاري :

يمكننا أن نوضح دور العولمة في الإرهاب الحضاري / الثقافي من خلال الأمثلة التالية :

لقد أجرى التلفزيون الفرنسي حديثاً خاصاً مع "نتنياهو" متحدثاً عن الإرهاب- وبلاده مثال صارخ في الأرهاب المنظم - قائلاً : إن لي حفيدين، وإن لياسر عرفات طفلة، وهمي الأكبر أن أحمي هؤلاء الصغار من الأرهاب ولن يطول العهد حتى تتكشف للعالم حقيقة الأرهاب فينفضح التاريخ بكل عوراته على يد "نتنياهو" يوم أقر الرأي العام الدولي بأن تسلل "الموساد" إلى الأردن وإقدام أعوانه على الشروع في جريمة القتل المتعمد مع سبق الإصرار واعترافاتهم اللاحقة، وذلك في ما سمي بـ (مشعل- غيت) أو فضيحة خالد مشعل التي هي فضيحة المخابرات الإسرائيلية في أسوأ فشل وأفظعه، مما يمكن أن يصاب به جهاز للمخابرات، وقد احتل الحدث ومضاعفاته المركز الأول من اهتمام الرأي العالمي طيلة" الشهر الأول من الربع الأخير من عام 1997 ،إنما يجسم بكل صفاقة ما يعرف في قاموس القانون الدولي بإرهاب الدولة كجرم موصوف متحقق قبض على مرتكبه في حالة تلبس، وما مرتكبه إلا الكيان الصهيوني وعلى طابوره، رجل ألف كتاباً سماه :

"السلام والأمن : لكي نقضي على الإرهاب ".

وحول هذه الحادثة يرى أحد الباحثين : أن الرأي العام العالمي لن يفلح في تهذيب شراسة العولمة الثقافية، ولن يستقيم للنظام العالمي الجديد معمار متوازن، ولن يتسنى لأحد أن يواجه الإرهاب - الذي هو إرهاب - مواجهة ناجعة ما لم يرأب الصدع الذي تشقق في صرح العولمة الثقافية تحت ضغط التناقضات الذاتية، وتحت وقع تضارب المكاييل .هو ذاك الإرهاب الحضاري الثقافي الذي يعم النظام العالمي الجديد فيزكيه وينفخ في صوره حتى يلبسه فيرتديه : هو الإجحاف بالحقوق الدنيا التي تكفلها المعاملات الدولية وتضمنها الجزاءات الكبرى بحسب أعراف الأمم عند الحروب وبعد الحروب هو التكشف السافر عن وجه التعامل مع العراق خارج حدود الإنصاف السياسي والعسكري للولوج إلى دائرة التشفي الحضاري. كأنما هو الأخذ بالثأر التاريخي، وإذا خرج التعامل الدولي من دوائره الطبيعية وانحشر في مضيق الانتقام الثقافي تعرت الحقيقة : وهي أن العراق المستهدف ليس عراق الحقبة السياسية الحاضرة على امتداد العقدين من السنين، وإنما عراق التاريخ ماضياً ومستقبلاً. هو العراق الذي هو جزء سياسي من كل حضاري.[9]

إن الإرهاب الحضاري / الثقافي الذي يتم في ظل العولمة يتعارض مع طبيعة الإنسان، وإن عملية التفكيك التي تتمُ في إطار العولمة الثقافية تشكل خطراً على الإنسانية جمعاء. فالثقافة الغربية تعمد إلى تفكيك كل شيء إلى عناصره الأولى

وهو مسلك حميد إذا كان الغرض معرفة العناصر التي يتكون منها الشيء. أوإذا كان الغرض هو صنع آلة و زيادة كفاءتها الإنتاجية، أو ما يسمى بالسيطرة على الطبيعة. ولكنه قد يكون مسلكاً خطيراً ومضراً إذا طبق على الأشياء الحية كالإنسان أوالأسرة أو الأمة، فهو قد يسمح فعلاً بمزيد من السيطرة على الإنسان والأسرة والأمة.

ولكن هذا ليس بالضرورة أفضل الأغراض طراً، فلكي يسيطر المنتج على المستهلكين ويحولهم جميعاً إلى دجاجة يسهل التهامها، من المفيد فعلاً تفكيك الفرد من أسرته ومن أمته ومن بيئته، باسم الفردية مرة وباسم الحرية الشخصية وباسم التنوير مرة، وباسم النسوية وتحرير المرأة مرة. وهذا كله يصور لنا على أنه نتاج حضارة إنسانية عامة يلتزم الجميع بها لأنها تستجيب لنوازع طبيعية في الإنسان. ومن ثم فإن انتشارها حتمي لابد من الخضوع له إما عاجلاً أو أجلا، ويمكن أن يعطينا فيلم "الجري وراء الذهب" لـ "شارلي شابلن" آخرمثال على الإرهاب الحضاري /الثقافي الذي يتم في ظل العولمة. وتتلخص أحداث الفيلم في أن يظهر "شابلن" مع رجل سمين جشع في كوخ صغير في أعلى الجبل، وقد منعتهما عاصفة ثلجية من الخروج، كانا قد أستبد بهما الجوع، إذ لم يكونا قد تناولا الطعام لعدة أيام، وليس أمامهما من وسيلة للعثور على أي طعام بسبب العاصفة الثلجية، وفي هذه الأثناء بدأ "شابلن" يطهو حذاءه ويشرع في أكله بالشوكة والسكين، نرى منظر زميله السمين وهو ينظر إلى

"شابلن" نظرة فيها اشتهاء واضح، إذ خطر له أن يلتهمه التهاماً، كلما نظر الرجل إلى "شارلي شابلن" لم يره كإنسان، بل رأى فيه دجاجة تنتظر الذبح، كان الجوع قد وصل بالرجلين إلى مدى لم يسمح له بأن ينظر إلى "شابلن"د ون أن يراه كدجاجة. وإذا كان ذلك غير ممكن و غير حقيقي ، كذلك لن يقنعنا أنصار الحضارة الغربية مهما قالوا ، أن طريقة نظرهم إلى الأمور هي الطريقة الوحيدة الممكنة .إن الذين يقولون إن العالم الآن صار لا يعتمد إلا على منطق السوق والاقتصاد والتقنية، يقولون شيئا شبيهاً جداً بزعم هذا الرجل في فيلم الجري وراء الذهب. وهو أن شابلن ليس إلا دجاجة، كذلك رجل الأعمال الذي إذا اصطحبته إلى مكان جميل على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بشمال المغرب، فإذا به يقول لك: إن هذا مكان رائع لإقامة فندق بخمس نجوم .أو إذا اصطحبته إلى "تايلاند" وصادفتهما في الطريق فتاة جميلة في الثانية عشرة أوالثالثة عشرة من عمرها قال لك: إن هذه الفتاة يمكن أن تصبح مصدراً للربح لو استخدمت في أغراض غير شريفة. هذا ما يزعم أنه ثقافة أو حضارة من المحتم لها أن تكتسح العالم وتسود . (10)

ثانياً : انعدام الأمن الثقافي :

إن العولمة الثقافية التي ينقلها توسع الأسواق العالمية تدعوا إلى القلق وتؤدي إلى انعدام الأمن الثقافي. فكما عبر عن ذلك "غاندي" ببلاغة فائقة في أوائل هذا القرن بقوله : "لا أريد أن

يكون منزلي محاطاً بالجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، بل أريد أن تهب ثقافات جميع البلاد على منزلي بأقصى حرية ممكنة، ولكني ارفض أن تعصف بي أي ثقافة منها".
أما الآن فإن تدفق الثقافة غير متوازن وترجح كفته بشدة في اتجاه واحد، هو من الدول الغنية إلى البلدان الفقيرة.

والسلع عديمة الوزن - ذات المحتوى المعرفي العالي بدلاً من المحتوى المادي - تشكل الآن بعضاً من أكثر القطاعات دينامية في أكثر اقتصادات العالم تقدماً الآن. فأكبر صناعة تصديرية منفردة في الولايات المتحدة ليست الطائرات أو السيارات بل هي الترفيه، فقد حصدت أفلام هوليود أكثر من ثلاثين بليون دولار على نطاق العالم في عام 1997.

وغزو الثقافة الأجنبية هذا أدى إلى وجودمعايير اجتماعية جديدة من مثل تلك التي جاءت في مسلسل "الجري والجميلات"أوتلك التي جاءت في فيلم "الجري وراء الذهب" إنها ثقافة أقل ما يقال في حقها أنها تعرض للخطر التنوع الثقافي، وهذا ما يجعل الناس يخشون فقدان هويتهم الثقافية ، وما يلزم هو دعم الثقافات المحلية والوطنية بحيث تتاح لها فرصة الازدهار إلى جانب الثقافات الأجنبية.(11)

إن في تاريخ الحضارات الإنسانية خصوصيات من آثارها أنها تميز عبر التاريخ بعض تلك الحضارات من بعض. وتتفاوت تلك الخصوصيات تبعاً لارتباطها بالمضمون الفكري من خلال الرسالة الروحية أو بالإنجاز التاريخي عبر تلاحق الحقب، وما تشهده من

انبعاث المؤسسات المجسمة للقيم التي تمثل سلم الفضائل لدى الأفراد ، ونسيج المميزات لدى المجتمع برمته، الحضارة العربية ذات سمات نوعية أبرزها من حيث الخصوصيات الفارقة أنها مشروع إنساني. ولكن للأسف تخلينا عن نشر وتبليغ الثقافة/ الحضارة العربية الإسلامية، فكنا السبب في ضياعنا ، وضياع العالم من حولنا ، ذلك لأن التقاعس عن أداء واجب تبليغ ما أمرنا الله بتبليغه و الدعوة بالحكمة شعوب العالم قاطبة إلى الايمان بالله، وإلى العمل بما جاء في كتابه وسنة رسوله كفيلان ليس بحفظ السلام والأمن العالمين فقط، وإنما كفيلان بتحقيق السعادة و الرفاهية للبشرية جمعاء.

والسؤال هنا هل ستؤدي هذه الثقافة المعولمة في حالة قيامها ونشرها إلى العدوان على الخصوصيات الثقافية مما يهدد هويات المجتمعات المعاصرة ؟

المبحث الثالث :
العولمة والهوية الثقافية .

. إن توضيح الآثار المترتبة على العولمة بالنسبة للهوية الثقافية يتطلب إلقاء الضوء على المفاهيم التالية : مفهوم الثقافة والمفاهيم المرتبطة به مثل الخصوصية الثقافية، والتنوع الثقافي، بالإضافة إلى الكشف عن العلاقة بين الهوية والانتماء، وذلك على النحو التالي :-

أولاً : مفهوم الثقافة :

يعرف "آدوارد تايلور" الثقافة بإنها : " الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع". وللثقافة جانبان :

الأول منها : روحي أو غير مادي، وهو الذي يضم القيم والمعايير والنظم والمعتقدات والتقاليد .

والثاني : مادي، وهو الذي يمثل التجسيد المحسوس للجانب المعنوي فيما يصاغ من أدوات ومنشآت، وهنا يقرب مفهوم الثقافة من مفهوم الحضارة.[12]

ويرى "دوركايم" أن الثقافة تقررها البنية الاجتماعية، وكانت مساهمة "زيمل" بالنسبة لتحليل الثقافة أكثر وضوحاً ،فقد عالج

موضوع الثقافة بطريقة مباشرة ومستدامة، مستخدماً المفهوم في كثير من الأحيان بشكل محدد، بعكس "فيبر" الذي استخدم مفهوم الثقافة استخداماً دلالياً. كما اعتبر "زيمل" مفهوم الثقافة الموضوعية، باعتبارها ظاهرة مستقلة استقلالاًنسبياً، كما بحث أيضاً الأشكال الرئيسية للثقافة من حيث علاقتها بالمضمون الثقافي، وذلك أنه كان مهتماً اهتماماً كبيراً بالعلاقة بين الموضوعية والذاتية وخاصة الثقافة الموضوعية والثقافة الذاتية، وكان تحليله نقدياً بشكل مزدوج في تفسيره لأشكال الثقافة (التي تجعلها ممكنة) من ناحية، ومن ناحية أخرى في معالجته للصراعات - أو ما قد نسميه الآن بشكل أكثر تحديداً التناقضات - في الثقافة الحديثة من منظور "المأساة".

وفي الفكر الألماني هناك تمييز بين الثقافة والحضارة، فهناك تمييز بين الثقافة كعضو مركزي في منظومة من مفاهيم الإقرار - مثل مثقف وتثقيف وفريد ثقافياً - والحضارة باعتبارها وصفاً سلبياً يتعلق بالعالم الحديث، وكثيراً ما ردد المفكرون الألمان كلمة "ثقافة" مختلطة بموضوعات تاريخية وإنسانية، حيث كانت الموضوعات الإنسانية ممثلة في التأكيد على التثقيف الذاتي وتثقيف النموذج. على حين تنصرف الموضوعات التاريخية إلى التأكيد على التفرد الثقافي الخاص بمجتمعات وحضارات بعينها، فقد كان بعضهم يركز على خصوصية وتفرد كل ثقافة أو شعب. بينما ركز آخرون على ثقافة بعينها "تجسد الإنسانية في زمن معين". (13)

ويعتبر علماء الإنجليز " الثقافة " كأسلوب حياة خاص بشعب ما. أما المفهوم الأمريكي للثقافة فقد كان نفعياً بقدر كبير في اتجاهه العام، حيث كان يرى أن الصيغ الكلية الثقافية الفريدة ينتجها الأفراد في ظل خلفيات وظروف اجتماعية بعينها، وأن الثقافة هي ما ينتجه الأفراد والجماعات والمجتمعات ويكتسبونه لكي يؤدوا وظائفهم أداءً فعالاً بما يعني حاجتهم إلى وعاء للأدوات على حد تعبير "سويندلر" ومعنى هذا أن الثقافة "تنجز" بصورة كبيرة، كما هو الحال في المفهوم الأمريكي الخاص بالقومية، وإن جاز القول بأن علماء الاجتماع الأمريكيين أصبحوا على وعي كبير بالمدى الذي تكون فيه الثقافات القومية والاثنية أموراً خاصة بالتوجيه، بل و"الاختراع".

أما الماركسية فقد ركزت على البعد الثقافي للتكوينات الاجتماعية، وأعطت أهمية لموضوع الهيمنة، في صورة الثقافة " الكابحة " للقوى الاقتصادية التي لولاها لكانت قوى جامحة. وإذا كان بعض الماركسيين ينظرون إلى الثقافة على أنها ظاهرة مصاحبة عنيدة، فإن البعض الآخر منهم ينظر إلى مشكلة الثقافة على أنها متأصلة في الرأسمالية، وربما في التكوينات الاجتماعية الأخرى. (14)

بينما عّرف منظروا "الخطة الشاملة للثقافة العربية" التابعين لجامعة الدول العربية - مفهوم الثقافة "باعتبارها مناط الشخصية العربية ومستودع قيمها، ووعاء حكمتها وحقيقة هويتها الحضارية. (15)

وقد أكدوا أيضاً على أن " الثقافة هي التي تصنع المجتمع وتصوغ ملامحه وهويته وتماسكه ".[16]

ويعرف "الجابري" الثقافة بأنها : " ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، هويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء.

وبعبارة أخرى، إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل ومالا ينبغي أن يأمل".[17]

نستنتج من التعريف السابق أنه ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أوبتدخل إرادي من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما ينعزل حيناً وينتشر حيناً آخر.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يسبق في تاريخ الحضارات العالمية أن حظيت الثقافة بمثل ما تحظى به في العقود الأخيرة من الاهتمام الفكري، ولا أثارت من قبل ما تثيره من الدراسات حول طبيعتها ووظيفتها وعلاقاتها ومؤسساتها وأدواتها وتحديد

لدورها في بناء الحياة المعاصرة والمقبلة ،إن ما تفرزه الثقافة من القضايا الروحية والاجتماعية والفكرية، وما تتفتح عنه من الظواهر التي لم تسبق حجماً ونوعاً وتنوعاً لا يلقي ظلاله على الحاضر فحسب، ولكن على صور المستقبل في علاقات الإنسان بأخيه الإنسان، حتى ليكاد العصر اليوم أن يكون عصر العولمة الثقافية.

ثانياً : مفهوم الهوية الثقافية :

لقد حظيت قضية الهوية في الفكر الإنساني عموماً بالتراكم الكمي والكيفي إلى الحد الذي فاضت معه أدبياتها على عديد الحقول الفكرية من التاريخ إلى علم الاجتماع فضلاً عن دوائر العلوم الإنسانية من آداب ولغويات. ثم آل أمر الهوية إلى النظرية الثقافية في مجالات البحث الأساسية بينما آل أمرها في مجال الكتابات الإجرائية إلى دائرة" حوار الثقافات " عند المتفائلين المبشرين، و إلى معضلة " صراع الحضارات " عند المنذرين المتشائمين.

وتعرف الهوية عند الجرجاني في كتابة التعريفات[18] ". أنها هي الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار" ، والامتياز هنا بمعنى الخصوصية والتفرد والاختلاف لا بمعنى التفاضل والتمايز. والهوية حسب هذا التعريف ليست شيئاً صلباً ثابتاً لأنها تتعلق بقضية الإنسان وصيرورة حركته بوعي وإدراك. والهوية يمكن أن تمر بمراحل تطور واعي، وإدراك متجدد ويمكن أن يحدث لها

انكسار لجمودها وعدم جدليتها وفهم معطيات الهويات الأخرى وكيفية التعامل معها.

ويعرفها باحث آخر بأنها : الذاتية والخصوصية، وهي جماع القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية .

الهُوية بضم الهاء من هو: فلان ؟ أو هي مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة والتي تتوارث عن ماض ذي تاريخ وتراث. وبما في التراث من لغة ودين، وما للأمة من انتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات وخصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره، فيصبح ويبقى هو ذاته ونفسه،ويكون بهذا قد أعطى الجواب عن سؤال من هو؟ [19]

نفهم من التعريف السابق أن هوية الفرد في عقيدته وجنسه وأرضه ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه والروح المعنوية والجوهر الأصيل للكيان الوطني والمصالح المشتركة.

والهوية الثقافية يمكن أن توصف بأنها النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد وللجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة، وميزاتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموحات الغد. [20]

ونخلص من كل ما سبق إلى أن للهوية الثقافية ثلاث مستويات : فردية وجمعوية ووطنية قومية ،والعلاقة بين هذه

المستويات تتحدد أساساً بنوع "الأخر" الذي تواجهه، وبعبارة أخرى فإن الهوية الثقافية تتحرك على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد.

● فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزباً أونقابة...الخ.) هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن "أنا" لها "آخر" داخل الجماعة نفسها "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من " الأخر".

● والجماعات داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة. ولكل منها "أنا" خاصة بها، و "أخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه.

● والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى ، غير أنها أكثر تجريداً وأوسع نطاقاً، وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساساً بنوع "الآخر" بموقعه وطموحاته، فإذا كان داخلياً، ويقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها ك "أنا" وإن كان يقع في دائرة الأمة، فالهوية الجمعوية " القبلية، الطائفية ، الحزبية ... الخ " هي التي تحل محل" الأنا " الفردي . أما إذا كان " الآخر" خارجياً، أي يقع خارج الأمة (والدولة والوطن) فإن الهوية الوطنية هي التي تملأ مجال "الأنا". [21]

ثالثاً : مكونات الهوية الثقافية :

ومن الملاحظات المتعلقة بالهوية الثقافية أنها لا تكتمل، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تكون قادرة على تحقيق العالمية، وعلى الأخذ والعطاء إلاإذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر، الوطن والأمة والدولة.

أ - الوطن : بوصفه "الأرض والأموات" أو الجغرافيا والتاريخ، وقد اصبحا كياناً روحياً واحداً، يعمر قلب كل مواطن : الجغرافيا وقدأصبحت معطى تاريخيا، والتاريخ وقد صار موقعاً جغرافياً.

ب - الأمة : بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة: وقوامها ذاكرة تاريخية ،وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن،أعني الوفاء لـ "الأرض والأموات" للتاريخ الذي ينجب، والأرض التي تستقبل وتحتضن.

ج - الدولة : بوصفهاالتجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهماإزاء الدول الأخرى ، في زمن السلم كما في زمن الحرب، ولابد من التمييز بين "الدولة" ككيان مشخص ومجرد في الوقت نفسه، كيان يجسد وحدة الوطن والأمة من جهة، و"الحكومة" أو النظام السياسي الذي يمارس السلطة ويتحدث باسمها من جهة أخرى، وواضح أننا نقصد هذا المعنى الأول.

وإذن فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية

الثقافية، والعكس صحيح أيضاً: كل مس بالهوية الثقافية هو مس في الوقت نفسه بالوطن والأمة وتجسيدهما التاريخي: الدولة.[22]

يتضح مما سبق أن الهوية تخضع لقانون التطور والصيرورة، فقد تتجه نحو الانكماش، أو تتجه نحو الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وتتأثر الهوية الثقافية أيضاً باحتكاكها سلباً وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما.

أن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية، والاستقلال الوطني، والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية، تعني العولمة مزيداً من تبعية الأطراف للمركز، فتعم قيم الاستهلاك والمتعة بالحياة، ولا تنظر الأمم إلى مشاريع وطنية وخطط استراتيجية بعيدة المدى، فذلك من اختصاص المركز. وما على الأطراف إلا ركوب القطار الذي يحدد المركز اتجاهه وسرعته ونوع حمولته وقائده ومحطاته التي يتوقف فيها، أو التي يتجاوزها، فإذا ما اتسعت المسافة بين الأغنياء والفقراء، انتشرت الجرائم المنظمة، ويزداد التفكك الأسري والتشرذم الاجتماعي، كل فرد وكل طائفة تبحث لها عن قضية بعدما غابت القضية العامة، وبعد أن انحسر الوطن في قلوب المواطنين، ويسود الشك والنسبية كما ساد في المركز، وتعم العدمية، وتنقلب القيم ،ويسري الخواء في الروح فتنهار الأمة، وفي هذه الأثناء يصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية

الثقافية والاستقلال الحضاري رجعياً، إظلامياً، أصولياً، إرهابياً، متخلفاً، ما ضوياً ،خليجياً ، سلفياً، بترولياً، مع أن الدفاع عن العولمة يأتي من الخيلج وأموال النفط التي تساهم في اقتصاد السوق وشراء أسهم الشركات الأجنبية.[23]

رابعاً : مفهوم الخصوصية الثقافية :

تعني الخصوصية البداية بالأنا قبل الآخر، وبالقريب قبل البعيد، وبالموروث قبل الوافد، وتعني الخصوصية أدبياً، البداية بالجذور قبل الثمار، وبالجذع قبل الأوراق، وبالطين قبل الماء، وبالأرض قبل السماء.[24]

أن من المتفق عليه أن لكل مجتمع إنساني خصوصيته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد، والذي لا يمكن أن يتكرر، فإنها أشبه بالبصمة الثقافية المتفردة. كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها الثقافية المميزة مثل المنطقة العربية الإسلامية على سبيل المثال.

وان كانت هذه الخصوصيات الثقافية لا تنفي في الواقع القاسم المشترك مع باقي المجتمعات والمناطق الحضارية، بحكم أننا ننتمي جميعاً إلى الجنس البشري، فالإنسان أولاً وأخيراً هو الإنسان في كل مكان. كما كان يؤكد دائما "مارك توين" بمعنى أن وحدة الطبيعة الإنسانية لابد لها أن تترك أثاراً متشابهة إلى حد كبير بين مختلف أبناء البشر.

وإذا كانت الملاحظات السابقة صحيحة، فإنها تعني أن هناك

جدلاً بين الخصوصية الثقافية والمشترك بين المجتمعات والأمم في نفس الوقت. ويبقى الخلاف حول طبيعة هذا التفاعل بين الخاص والعام واتجاهاته وآثاره.

وفي هذا المجال هناك صراع فكري بين أنصار الخصوصية الثقافية المغلقة والخصوصية الثقافية المفتوحة، أنصار الاتجاه الأول يقفون موقفاً متعصباً يركز على أصولهم الثقافية ويتمحور حول شجرة أنسابهم الفكرية ويتشبث بها في مواجهة عدائية إزاء فكر الأخر وثقافته، وخاصة الفكر الغربي على إطلاقه، ويرى أنصار هذا الاتجاه أن الخصوصية الثقافية لها جوهر خالص لا يتغير عبر الزمن، وأنها تصلح كقاعدة حضارية مكتفية بذاتها عن فكر الآخرين وثقافتهم.

أما أنصار الخصوصية الثقافية المفتوحة، فهم على العكس يعتبرون الخصوصية الثقافية باعتبارها مجموعة من الخصائص والسمات التي تبلورت نتيجة تفاعل عوامل مركبة شتى في لحظة تاريخية معينة. ولكن هذه الخصائص والسمات في تفاعلها مع الواقع، ومن خلال الجدل بين الداخل والخارج، الخاص والعام، تتغير عبر الزمن ، بل وتتجدد باستمرار، وهذا هو مناط الفاعلية الحقيقية.

أي قدرة الخصوصية الثقافية على التفاعل الايجابي الخلاق مع متغيرات العصر وتطورات الزمن.[(25)]

وبعبارة أخرى إذا كان الصراع بين الخصوصية والعولمة هو في الحقيقة صراع على السلطة في المجتمع بين فريقين متخاصمين :

السلفية والعلمانية، فإن المدخل الأيديولوجي لكليهما يمكن تعريته ومطالبة كل من الفريقين بالاستجابة إلى تحديات العصر، إذ لا فرق بين أن يتم تحرير الأرض باسم الخصوصية، والجهاد في سبيل الله، والإذن بقتال المظلومين للظالمين. وبين أن يتم دفاعاً عن الحريات العامة للأفراد والشعوب. كما هو الحال في فلسفة التنوير، ولاخلاف بين أن يتم تحرير المواطن بإعلان الشهادة، الشهادة على العصر بان الله أكبر على كل من طغى وتجبر، والله أكبر قاصم الجبارين كما يقول أنصار الخصوصية، وبين أن يتم ذلك باسم حقوق الإنسان كما يدعي أنصار العولمة الثقافية.

لا ضير أن يتم تحقيق العدالة الاجتماعية باسم الزكاة والتكافل الاجتماعي . وحق السائل والمحروم والفقراء في أموال الأغنياء والمترفين. ولا حرج في أن تتم وحدة الأمة باسم التوحيد. وبين أن تتم باسم االقومية أو النضال العالمي، ولا خلاف من أن يتم الدفاع عن الخصوصية الثقافية باسم الأصالة، كما يريد أنصار الخصوصية، أو باسم الثقافة الوطنية كما يريد أنصار العولمة الثقافية.

ولا ضرر من أن تتم تنمية الموارد البشرية باسم تسخير قوانين الطبيعة لصالح البشر. وبين أن تتم باسم التقدم والتصنيع، فالغاية واحدة وهي السيادة على الأرض، ولا فرق بين أن يتم تجنيد الجماهير باسم الأمانة التي حملها الإنسان وأشفقت الجبال والأرض والسماء منها، وبين أن تتم باسم نضال تحرير العمال.

ومع ذلك تظل للعولمة انعكاسات مباشرة على الخصوصية

الثقافية، وبذلك يصبح البعد الثقافي أهم أبعاد العولمة. حيث يشير بعض الباحثين إلى أننا أمام ثقافة عالمية أو أننا بصدد تكون ثقافات عابرة للقوميات. وأن العالم يسير نحوتحقيق فكرة وحدة الإنسانية من خلال العولمة الثقافية.

لذلك كما يرى هؤلاء، فإن الجانب الشمولي للعولمة وما يرافقها من قيم ثقافية تهدف لتحقيق الهيمنة على ما سواها ،لا ترسخ فقط الولاء للعالم والفضاءات التي يتيحها تصور العولمة ، بل أن من شأنها خلق بانوراما عالمية ثقافية تطرح للجدل صورة الذات والهوية.[26]

وعلى العموم تبقى الخصوصية الثقافية مطلوبة. لأنها أولا تعني التفرد والتميز، وثانياً وأخيراً تقف في وجه الغزو الثقافي وأخطاره وتحفظ بالتالي للمجتمع دوامه واستمراره.

خامساً : مفهوم الانتماء :

من خلال مناقشتنا للهوية الثقافية والخصوصية الثقافية إتضح لنا أن هناك اتجاهين أو موقفين متعارضين : موقف يدعو إلى التمسك بالأصول وبالهوية التي تتفرع عنها وترتبط بها، لأن هذا التمسك يهدف إلى الوقوف في وجه الاستتباع والإلغاء الرمزي والثقافي الذي يمارسه الآخر ضدنا.

والموقف الآخر يدعو إلى انفتاح المجتمعات بعضها على بعض، والسعي لتكوين هوية عالمية جامعة تتجاوز التجمعات الاجتماعية داخل الأوطان، تؤسس على قاعدة حقوقية ومرتكزات

رمزية، وتبنى على أساس مصالح مشتركة جدية تتخطى الجماعات الفرعية والأوطان، وتجعل من العالم كله مدينة إنسانية تستحق أن تسمى (المجتمع المدني العالمي).

ويرجع الفارق بين الموقفين إلى عدم التمييز بين الانتماء والهوية، فمفهوم (الانتماء) هو ارتباط بأصل مفروض على الإنسان ولا يتوقف على قراره.

أما الهوية فهي فعل إرادي، انتقائي يقرب ما بين العناصر المكونة للهوية، لتوحيدها في إطار مشروع مشترك وحياة مشتركة، ورموز ومصالح مشتركة، يلتقي عليها أكبر تجمع من الأمم والشعوب لتأكيد انتمائها إلى العصر من جهة، وليضمن حقوقه على أساس الخيار القانوني من جهة أخرى.[27]

وهكذا، ومن خلال استنطاق المفاهيم السابقة، يمكننا القول بأن أخطر التحديات التي ستواجه البلدان العربية وصناع القرار بها، هي بالدرجة الأولى تحديات ثقافية.

والسؤال الملح هو : هل تستطيع البلدان العربية مواجهة تحديات العولمة الثقافية والحفاظ على ثقافتها وهويتها. وما هو دور المثقف العربي في ذلك؟

المبحث الرابع :
الآثار المحتملة للعولمة على الثقافة العربية وسبل مواجهتها

ستكون معالجة إشكالية الآثار المترتبة عن العولمة في "المجال الثقافي واستراتيجية مواجهتها " في إطار الإجابة على التساؤلات التالية :

- العولمة وأزمة النظام الثقافي العربي ما العمل؟
- العولمة تهديد للهوية العربية ما العمل؟
- هل يمتلك المثقف العربي إمكانية مواجهة العولمة؟

أولاً : العولمة وأزمة النظام الثقافي العربي :

هل أزمة الثقافة العربية شأن داخلي أم هناك عوامل خارجية ساهمت في أحداثها وما العمل ؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل، نرى من الواجب أولاً استجلاء ماهية الثقافة العربية، والكشف عن مميزاتها ، وذلك على النحو التالي :

1- ماهية الثقافة العربية :

إذا كان من الواجب أو الهدف من إنشاء" الجامعة العربية" هو تحقيق وحدة البلدان العربية ،فإن من أهداف إنشاء" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" هو تحقيق الوحدة الثقافية العربية.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف أعدت المنظمة خطة شاملة للثقافة العربية أعطتها أهمية خاصة باعتبارها مناط الشخصية العربية، ومستودع قيمها، ووعاء حكمتها، وحقيقة هويتها الحضارية. كما أكدت على أن الثقافة هي التي تضع المجتمع وتصوغ ملامحه وهويته وتماسكه.[28]

وفي سنة 1964 وقع وزراء المعارف والتربية العرب ميثاق الوحدة الثقافية الذي يحدد في مادته الأولى هدف التربية والتعليم بأنه (تنشئة جيل عربي مستنير، مؤمن بالله مخلص للوطن، يثق بنفسه وبأمته، ويدرك رسالته الوطنية والإنسانية، ويتمسك بمبادئ الحق والخير والجمال، ويستهدف المثل العليا الإنسانية في السلوك الفردي والجماعي) .[29]

إن الثقافة تلعب دوراً غاية في الأهمية في حياة الشعوب : ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولهذا يمكن القول إنه :(لم يسبق في تاريخ الحضارات العالمية أن حظيت الثقافة بمثل ما تحظى به في العقود الأخيرة من الاهتمام الفكري، ولا أثارت من قبل ما تثيره من الدراسات حول طبيعتها ووظيفتها وعلاقاتها ومؤسساتها وأدواتها وتحديد لدورها في بناء الحياة المعاصرة والمقبلة). إن ما تفرزه الثقافة من القضايا الروحية والاجتماعية والفكرية، وما تتفتح عنه من الظواهر التي لم تسبق حجماً ونوعاً وتنوعاً لا يلقي ظلاله على الحاضر فحسب، ولكن على صور المستقبل في علاقات الإنسان بأخيه الإنسان حتى ليكاد العصر اليوم أن يكون عصر الثقافة.[30]

لقد كان طبيعياً أن تعطي الخطة الشاملة للثقافة العربية أهمية للعناصر المميزة التي تجعل من الثقافة العربية ثقافة عالمية تكون رائدة للثقافات الإنسانية،فهي ثقافة أصيلة بعراقتها التاريخية. وهي ثقافة إنسانية عالية حفلت دوما بقيم فكرية عالية كقيم الحق والعدل والمساواة واحترام المعرفة، وهي كذلك ثقافة شاملة لمظاهر المادة وللآفاق الروح، ثم إن الثقافة العربية ترد ينابيع الإلهام الإسلامي فتؤلف به أنموذجاً متفرداً. وهي الثقافة القادرة على تمثل الأخريات دون إذابة ولا ذوبان. وللثقافة العربية جهاز لغوي ليس لغيرها مثيله سعة ومرونة وتجذراً في سنن الأداء، وثقافة العرب تكاد تنفرد بطواعية التطور الداخلي فيها عند كل منعرج حاسم من منعرجات التاريخ، وأخيراً وبسبب هذا كله كانت الثقافة العربية قادرة على أن تصمد في جميع أوجه محاولات الاستلاب أو التشويه، فأصالة العرب بفكرهم ومعارفهم وشتى علومهم هي التي تقف حائلا بإصرار وحيوية دون نجاح تلك المحاولات المسيئة، وهي التي تجعلها تجتاز امتحان الحوار المتكافئ مع الأخذ الايجابي عن الثقافات الأخرى ،دون ما تخل عن الجوهري لديها.(31)

لقد نصت وثيقة الخطة الشاملة على أن الثقافة العربية قد كانت في تاريخها الطويل ثقافة حوار وتعاون، وكانت بحكم الموقع الجغرافي للبلدان العربية منطقة لقاء الثقافات وامتزاجها، كما كانت بحكم طبيعة العرب المنفتحة أخذا وعطاء، بين بحري

الحضارات القديمة الأساسيين : البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، ثقافة تعاون وتفاهم بين الشعوب.(32)

ونصت على أن التطور الفائق السرعة الذي حققته التقنية في مجال الاتصال بين الأمم والشعوب لم يجعل الحوار والتعاون ممكنين فحسب ولكنه جعلهما فرضين إلزاميين أيضاً. يضاف إلى هذا أن الثقافة إنما تنمو وتزدهر وتزداد إشعاعاً وقيمة في الحضارة الإنسانية بقدر تفاعلها مع الثقافات الأخرى ، وبما تقدمه لتفاهم الشعوب وتعاونها من إسهام في أغناء الحضارة الإنسانية.

2- خصائص الثقافة العربية :

وعلى العموم فإنه يمكن إجمال أهم ما تمتاز به الثقافة العربية من خصائص في الآتي:(33)

أ - أنها ثقافة فاعلة ومنفعلة في الوقت نفسه : هذه الميزة الأساسية، وهي تكاد تنفرد بها دون الثقافات الأخرى، وهذا ما أهلها لان تلعب دورها ألبنائي المؤسس لباقي ثقافات العالم، ومن جهة أخرى هذا ما وفر لها الغنى والشمولية والعمق المتميز، الذي مازال حتى اليوم المنهل الذي يساعد على التطور الثقافي العالمي.

هذه القابلية والعطاء والتطور الانتقائي من الثقافات الأخرى جعل من روافد ثقافتنا العربية أساساً لثقافات الشعوب الأخرى.

ب - أنها ثقافة مرنة ومتسامحة : رغم ما تحمله الثقافة العربية من صفات التميز إلا أنها استوعبت بعض عموميات الثقافات السابقة، رغم أن هذا التأثير لم يكن متساوياً ولا شاملاً

فقد استوعبت ثقافة الفرس ونظمهم وعلم اليونانيين وحكمتهم. ورياضيات الهنود وفلكهم، وسبكتها في فضائها ، فاندرجت في صميمها وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حقيقتها.

والثقافة العربية ثقافة مرنة لأنها قادرة على امتصاص المتغيرات دون حدوث اضطراب فيها ،وهذه المرونة تتضح أيضاً من خلال ما تتضمنه من المتغيرات والبدائل، مما يدل على ديناميتها وحيويتها.

ج - أنها ثقافة عريقة وأصيلة : إن الثقافة العربية ذات شخصية متميزة مدت ظلها من أرض الجزيرة العربية إلى كثير من الدول ، وكان لها أثرها الفعال في بعث النهضة الأوربية الحديثة.

فالثقافة العربية بما تحتويه من أخلاق حميدة وفضائل كريمة أثرت في شعوب كثيرة، إن الحفاظ على كرامة الإنسان، وإكرام الضيف وحماية المستجير، ومراعاة حقوق الإنسان والجار والمار، ومشاركة الآخرين في أفراحهم وأحزانهم، والوفاء بالوعد، والحفاظ على البيئة تعد كلها من ثوابت الثقافة العربية الإسلامية.

د - أنها ثقافة متوازنة : إن الثقافة العربية لا تفرط في القيم الروحية لحساب المادة. ولا تفرط في المادة لحساب القيم الروحية، وهي ثقافة متميزة تهدف إلى خلق مجتمع فاضل لا أثر فيه للجشع والطمع ولا للتقتير أو التبذير ولا للتهور والجبن.

إن من أهم أسباب التوتر والصراع الذي يسود العلاقات الدولية في عالمنا المعاصر هو اختلال التوازن بين القيم الروحية

والمادية، وسيطرة الاتجاه المادي على العلاقات الدولية والإنسانية، وهذه السيطرة جعلت من يملك المادة يملك القوة دون اعتبار لقيم الحق والخير والسلام، فالسلام سلام القوة والحق حق القوة، لذا نرى انه لن يكون هناك أمن وسلام في هذا العالم، ما لم يكن قائما على العدل والمساواة.

هـ - أنها ثقافة تقدمية : لا أحد ينكر الأثر العظيم الذي تركته الثقافة العربية في الثقافات الأخرى ،فهي التي زودت العالم بالأبجدية التي شكلت الأساس للتطور الحضاري وتسريعه، وسهلت التفاعل بين الشعوب، وهي التي زودت ثقافات العالم بمبادئ الديمقراطية وخصائص الدولة المدنية الديمقراطية التي حلت محل العشائرية والعائلية.

ومن الثابت أن علماء الغرب بعد القرن الخامس عشر. اعتمدوا على الثقافة العربية وحدها، فقال :(PRIFFAULT)بريفو

"العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث، إذ أن جامعات أوروبا ظلت أكثر من ستة قرون تتغذى بثقافة العرب العلمية التي ظلت وحدها مادة التدريس فيها".

و - أنها ثقافة إنسانية : الثقافة العربية ثقافة إنسانية تحمل رسالة سماوية للإنسانية كافة، تهدف إلى كرامة الإنسان والى سعادته، فالثقافة العربية تؤكد وحدة الإنسانية وتأخذ بيدها إلى طريق الإيمان والسلام والخير.

وإذا كانت الثقافة العربية إنسانية في اتجاهاتها الروحية، فهي إنسانية أيضاً فيما أنجزته من مبتكرات ومخترعات وعلوم

أسهمت في تقدم الإنسانية ورخائها. وهي ثقافة إنسانية عندما لا تفرق بين كافة شعوب الأرض، إذ أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهي إنسانية عندما تؤكد أحقية الإنسان وأهليته في أن يكون خليفة الله على الأرض، وهي إنسانية عندما تحث الإنسان على التأمل والبحث والتفكير لكشف الحقائق المجهولة وتحقيق الإنجازات العلمية الكبرى.

والسؤال الذي يلح بإصرار في هذا الإطار : إذا كانت الثقافة العربية لها تلك الخصائص المميزة ،فما الخوف إذا من العولمة الثقافية وأطروحتها ؟

لا شك انه من المسوغ لنا أن نتخوف ونتشكك في سيطرة العولمة الثقافية واختراقها للثقافة والنظام الثقافي العربي سببان :

الأول : أن النظام الثقافي العربي يعيش مرحلة الأزمة الطاحنة والشتات والتخبط مما جعل بنيته هشة وناقص المناعة والحصانة من اختراق الثقافات الأخرى.

الثاني : إن العولمة الثقافية تحمل بين طياتها ثقافة غالبة استهلاكية وغزواً ثقافياً من الغالب على المغلوب. ويتضح ذلك على النحو الآتي :

3- أزمة الثقافة العربية :

أ - إشكالية تحديد مسبباتها :

إن أزمة الثقافة العربية ترتبط بالأزمة التي يعيشها النظام العربي، وهناك فرضيتان تحاولان تفسير ظاهرة الأزمة الثقافية وهشاشة بناء النظام الثقافي العربي. تنطلق الفرضية الأولى من :

" أن ثقافتنا العربية تعاني معاناة شديدة وأزمة شاملة ومركبة وعميقة وعجزها عن التكيف والتأقلم "الايجابي" والفعال مع المتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية، وهذه الأزمة تحتوي على أزمة شرعية وأزمة هوية وأزمة عقلانية ".[34]

وأما الفرضية الثانية فتنطلق من : " أن ثقافتنا العربية كمنظومة ونظام، والتي ظهرت بشكل جنيني بعد الصدام الحضاري والدامي بين الحملة الفرنسية بقيادة " نابليون بونابارت " والمجتمع المصري عام 1798، وما نتج عنه من نهوض فكري ومنتوج ثقافي وسياسي.. هذا النظام الثقافي قد أصابه الانهيار بعد هزيمة يونيو عام 1967وسقط نهائياً بعد حرب الخليج الثانية (1990-1991) ومن ثم يتوجب البحث والتقصي عن نظام ثقافي عربي جديد بدلاً من القديم ببنية جديدة ورؤية ورواد جدد لهذا النظام ".[35]

ب - بعض مظاهر الأزمة الثقافية :

وفي هذا السياق يرى أحد الباحثين أن أزمة النظام الثقافي العربي تكمن في :" الشتات الفكري والانتقائية الفكرية والميوعة والتسطح الفكري، إلى جانب سيادة الثوابت النصية والتماثلية غير التاريخية، والثنائيات التوفيقية واللاعقلانية والجزئية والو ضفية والتعميمات المطلقة والإسقاطات الذاتية والأيديولوجية إلى غير ذلك ".[36]

وقد رأى باحث آخر أن واقع الثقافة العربية مأزوم كنتيجة

طبيعية للازمة العامة التي تتخبط فيها البلدان العربية، وقد حدّد مظاهر هذه الأزمة في الأمور التالية:[37]

أولها : يتجلى في النتائج التي أدى إليها انهيار المشاريع الكبرى وانهيار مرجعيتها الفكرية ولو بنسب ودرجات متفاوتة ومختلفة بين كلاً منها: الماركسية التي شوهتها التجربة السوفيتية، والقومية التي حملت بعد مخاض عسير تلاوين اشتراكية، والليبرالية التي حاولت بشكل إرادي تقليد النموذج الرأسمالي في الغرب.

وثانيها : يتجلى في تراجع دور السياسة في الحياة العامة، وفي تفريغها من مضمونها الأساسي.

وثالثها : يتجلى في غياب التخطيط تحت تأثير الأزمة والانهيارات من جهة، وتحت تأثير النظريات التي سادت بعد انهيار التجربة السوفيتية.

ورابعها : يتجلى في انهيار الأخلاق والقيم الأخلاقية، وفي انهيار الصدق في القول والعمل.

وخامسها : يتجلى في الفهم المشوه للهوية وفي الصراع حول مفاهيم مناقضة لها .

وسادسها : يتجلى في تراجع دور التعليم بشكل عام والرسمي منه بوجه خاص وفي تراجع دور مؤسساته كلها في كل الفروع والمستويات.

وسابعها : يتجلى في ضعف بل حتى غياب وانعدام مراكز

إنتاج المعرفة وغياب وانعدام الخطة التي تجعل من الجامعة الوطنية في كل بلد المركز الرئيسي لإنتاج هذه المعرفة.

وثامنها : يتجلى في تراجع مراكز النشر والإعلام والديمقراطية لصالح المؤسسات الكبرى التي يتحكم فيها الرأسمالي على الصعيدين العالمي والمحلي.

وهكذا أوضحت الآراء السابقة أن الثقافة العربية - واعتقد أنهم يقصدون النظام الثقافي العربي - في أزمة واضحة وعميقة ولها جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية، أما الثقافة بمفهومها وخصائصها التي أشرنا إليها سابقاً فهي لازالت قادرة على أن تحقق عالميتها وريادتها، ولكن الضعف فيمن ينتمون إليها، لأنه في نظرنا أن أية ثقافة لا تعمل بقوة ذاتها فقط بقدر ما تعمل بقوة واقعها.

4- العولمة وتشويه الثقافة العربية :

أن أي ثقافة تزدهر وتنشط بقبول الآخر وثقافته، والثقافة العربية وصلت إلى قمة ازدهارها في بعض عصورها، لأنها قبلت ثقافات جميع الأمم في تلك العصور، وتصاهرت معها تصاهراً فكريًا وعلمياً، فكان ذلك النسيج المتميز الذي ترك صداه لعصور تالية وعلى أمم مختلفة حتى قبلتها تلك الأمم وأقبلت عليها بشغف، مع ما كانت تحمله في مضامينها الفكرية والعلمية من مفاهيم وقيم التي ضمنها الدين الإسلامي - كدين جديد في ذلك العصر- والتي لم تصادفها تلك الأمم من قبل، والثقافة

الغربية ،وعلى رأسها الثقافة الأمريكية المعولمة، قد رفضت الآخر وأغفلته، بل عمدت إلى تشويه ثقافته.

أن الثقافة الغربية هي الثقافة العالمية المسيطرة الآن، وتسلطها هذا ناتج عن شعورها بالقوة ،ونتيجة استغلالها السياسي وتوافر وسائل الهيمنة لديها.

ومن الأهمية بمكان أن نؤكد في هذا الإطار على أن عالمية الثقافة الغربية والأمريكية خاصة تحوي غزواً ثقافياً وقهراً للغالب المنتصر في زعامة العالم.

فأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية النموذج المحتذى به لمعظم المثقفين المفتونين بأمريكا لأنها أكبر قوة اقتصادية في العالم، وهي جواز المرور للشبكة الاقتصادية العالمية، وهي نموذج يجب الاحتذاء به في شؤون التقنية الاقتصادية وضبط السوق وآلياته. كما أن النموذج الأمريكي من الناحية السنياسية يبهر بعض العرب باعتباره القطب الأوحد والذي يدير حركة العالم، وهو نموذج لتحقيق حلم الشعوب المقهورة بتطبيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ومثلاً فذاً في الرقي بالإنسان واحترام حقوقه وكرامته.(38)

ومن الناحية الاجتماعية ينظر البعض بانبهار لنموذج العدالة الاجتماعية وارتفاع مستوى دخل الفرد الأمريكي، كما ينبهر ويزهو بثقافة الغرب الأمريكي وبراجماتيته ومدى تجددها الواعي وتفاعلها مع معطيات الأوضاع والواقع والأحداث، علاوة على

المستوى الفني والتكنولوجي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية.

إذا كانت هذه نظرة بعض أبناء البلدان العربية للثُقافة الغربية الأمريكية المعولمة فكيف ينظر الأمريكيون للعرب وثقافتهم؟

ينظر الأمريكي "الأنموذج" للعربي من خلال مسلسلاته وصحفه وإعلامه على أنه القبيح والقذر والمتعطش للدماء والمحتكر للبترول لإذلال الغرب والأمريكيين بصورة خاصة.[39]

بل أن الدراسات الأمريكية تفسر حالات التخلف الاقتصادي وضعف الخطط الاقتصادية ونتائجها في البلدان العربية نتيجة لانتشار القيم وأنماط السلوك والممارسات المرتبطة بالدين الإسلامي خاصة بسبب تبديد الموارد في بناء المساجد والحج والإحسان وتعدد الزوجات ورفض الفوائد الربوية. كما أن التعاليم الإسلامية تؤدي إلى التواكلية والقدرية وقتل روح المبادأة والمبادرة الفردية، كما أن تراث الأمة الإسلامي يمنع التنمية الاجتماعية بسبب التمييز بين الذكور والإناث.[40]

كما تشير هذه الدراسات الغربية والأمريكية إلى أن العالم العربي والإسلامي لم يعط للديمقراطية أي شأن سواء على مستوى الفكر أو الممارسة بل تفرد هذا التاريخ بالقمع والقهر ومقاومته للتيارات الأخرى بزعم الاختلاف مع الدولة ونظامها السياسي.

تلك كانت نظرة الغرب وأمريكا للعرب ولثقافتهم، وهي نظرة تتسم بالاستعلاء والزهو والعنصرية.

إن هذا النمط الثقافي الغربي المتغطرس ليس بالكامل ولا

بالنهائي، وبالرغم مما أعطى الإنسانية من المعرفة والرفاه المادي ، فإنه قد أضاع عليها الكثير من الفرص،وأن في العالم ، ولدى العرب، كما لدى الجماعات الإنسانية الأخرى - في الصين أو في الهند وأمريكا اللاتينية أو إفريقيا - رؤى ثقافية وحضارية - تختلف عن الثقافة الغربية والأمريكية - من شأنها إذا امتزجت بها الثقافة العربية الإسلامية وتعاونت معها أن تغني في ذاتها وان تغني الثقافة الإنسانية من ورائها وتمنح الإنسان أبعادا جديدة ومستقبلاً أكثر إشراقاً .(41)

ولكن هذا لن يتحقق إلا برسم استراتيجية مدروسة تكون في مستوى المواجهة.

5- استراتيجية المواجهة :

ليس منا واحد لا يتحدث اليوم عن التأثير المحتمل للعولمة على الثقافة العربية، وليس منا واحد لا يفكر في استراتيجية علمية لمواجهة أخطار العولمة على ثقافتنا ووقوفها في وجه عالميتها.

ولأجل هذا الغرض كان ميلاد " الخطة الشاملة للثقافة العربية " التي تهدف- فيما تهدف إليه- إلى تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في البلدان العربية بوصف الثقافة ركن البناء الحضاري وأساس تماسك الأمة.

وترتكز - فيما ترتكز عليه من مبادئ - على أن عملية التخطيط التنموي عملية شمولية والثقافة بُعد أساسي من أبعاد التنمية الشاملة، وعلى علاقة تأثير متبادل مع نواحي التنمية

الأخرى، ولا يتم تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية إلا بالاستناد إلى تخطيط ثقافي جذري يحدد الأهداف المستقبلية للأمة.[42]

وللأسف رغم ما لهذه الخطة من وجاهة، إلا أنها أخفقت في تحقيق الوحدة الثقافية للبلدان العربية ، كما أخفقت في مواجهة ثقافة الغرب المعولمة، وذلك لأسباب عديدة، نكتفي بذكر موقفين منها وخاصة فيما يتعلق بعلاقة العولمة بالعرب على صعيد الهوية الثقافية.

هناك موقفان سائدان - على حد تعبير أحد الباحثين العرب - موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي وما يتبع ذلك من ردود فعل سلبية، وموقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي واستتباع حضاري، شعاره " الانفتاح على العصر".

إن الانغلاق موقف سلبي غير فاعل، لا يقاوم الاختراق الثقافي، ويكتفي فقط بتحصين ذاته داخلياً، والتحصين كما هو معلوم إنما يكون مفيداً عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى ، والقدرات. أما عندما يتعلق الأمر بظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت وتفعل فعلها بالإغراء والعدوى والحاجة، ويفرضها أصحابها فرضاً بتخطيط واستراتيجيا ، فإن الانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطيء ، قد تتخلله بطولات مدهشة ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخفاق.

ومثل الانغلاق مثل مقابله : الاغتراب، إن ثقافة الاختراق ، اعني أيديولوجية الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها .

ثقافة تنطلق من الفراغ، أي من اللا هوية، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبني هوية ولا كياناً ، يقول أصحاب هذا الموقف: إنه لا فائدة في المقاومة ولا في الالتجاء إلى التراث ، بل يجب الانخراط في العولمة من دون تردد ، لأنها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا يمكن تحقيق التقدم خارجها. أن الأمر يتعلق بقطار يجب أن نركبه وهو ماض في طريقه بنا أو بدوننا .

لذلك يجب أن تكون مواجهة مخاطر العولمة وما تمثله من اختراق ثقافي انطلاقاً وقبل كل شيء من العمل داخل الثقافة العربية نفسها ومن داخل البلدان العربية ذاتها ، ذلك لأنه سواء تعلق الأمر بالمجال الثقافي أو بغيره، فمن المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية.

إننا في حاجة إلى تنمية بشرية والى الدخول في عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين، كما أننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا الوطنية وخصوصيتنا الثقافية من الإنحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتقانة.

ومن الحقائق البديهية في عالم اليوم أن نجاح أي بلد من البلدان السائرة في طريق التنمية منها أو البلدان الأقل نمواً ، نجاحها في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية. مشروط أكثر من أي وقت مضى بمدى ما حققته من تنمية وخاصة في مجال التنمية البشرية.

والوسيلة في كل ذلك واحدة :الإمكانيات اللامحدودة التي توفرها العولمة نفسها ، وخاصة الجوانب الإيجابية منها. وفي مقدمتها العلم والتقانة.[43]

ويمكن أن نشبه الموقف الرافض بمن يواجه فعلاً عدوانياً يتعلق بثقافته وهويته ، وذلك عن طريق استنهاض النقيض للتمسك بثقافته وهويته، ماذا يمكننا أن نسمي - مثلا - حالة الانكفاء الثقافي للمغلوب إلى منظوماته المرجعية التقليدية؟ إنها تراجع معرفي ما في ذلك شك، غير أنها في منظور علم الاجتماع الثقافي شكل من الممانعة الثقافية ضد الاستسلام، ومحاولة للبحث عن نقطة توازن في مواجهة عصف التيار الثقافي الجارف، إنها محاولة للاحتماء من عملية اقتلاع كاسحة، وهي وأن كانت دفاعاً سلبياً عن الثقافة والأنا الجمعي ، إلا أنها تظل في النهاية مظهراً من مظاهر المقاومة الثقافية المشروعة ، وإن كان من الواجب القول أن معركتها مع العولمة خاسرة في آخر المطاف إن لم تتحول إلى مقاومة إيجابية تتسلح بالأدوات عينها التي تحققت بها الجراحة الثقافية للعولمة.[44]

إن أهم ما في الاستراتيجية السابقة، هي توحيد الجبهة الداخلية، وذلك بهدف تحقيق الوحدة الثقافية العربية أولاً، والعمل ثانياً على أن تتبوأ الثقافة العربية الإسلامية المكانة اللائقة بها بين ثقافات العالم، لكن في المقابل يجب الاعتراف بأنه في الوقت الراهن - من المشكوك فيه - أن نعتقد أنه

بإمكاننا تحقيق العولمة لثقافتنا ما دمنا لم نغير من واقعنا. تبعا للحقيقة القرآنية :

" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " .

ثانياً : العولمة والهوية الثقافية العربية :

من الثابت أن الثقافة لها هوية بالضرورة، هي في مضمونها مجمع قيم مخصوصة تطمح إلى أن تكون قيماً مطلقة، والهوية الثقافية هي الخاص الذي من إيثاره يريد أن يكون عاماً ، وهي النسبي الذي يبحث عن فك قيود النسبية حتى يشمل الآخرين بما هو على يقين أنه الصالح لهم أيضاً ، لأن صلاحه من ذاته وليس من حامله ، وهذا ما يحقق للثقافة العربية عالميتها ومعاصرتها ، مع المحافظة على تراثها وهويتها، ويجعلها في نفس الوقت مسهمة في التقدم العربي والبشري.

في هذا الإطار إذن يجب أن نضع خصوصية العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية عندما يتعلق الأمر بالبلدان العربية، فالاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام ، بل إنه سلاح خطير يكرس الثنائية والتجزئة في الهوية الوطنية، ليس الآن فقط ، بل وعلى مدى الأجيال الصاعدة والقادمة. ذلك أن الوسائل السمعية البصرية ، المرئية واللامرئية التي تحمل هذا الاختراق وتكرسه، إنما تملكها وتستفيد منها فئة معينة هي النخبة العصرية وحواشيها، فهي التي تستطيع امتلاكها والتعامل مع لغاتها الأجنبية، بحكم

التعليم "العصري" الذي تتلقاه أما عموم الشعب وعلى رأسه النخبة التقليدية فهو في شبه عزلة.(45)

وقد ترتب عن الوضع السابق صراع حول الهوية، صراع ثقافي يدور بين نخب سياسية وثقافية عربية، هناك صراع أولاً بين من يدعون أنفسهم بالقوميين وبين معظم فئات المجتمع العربي ، والذي يدور حول سؤال : هل نحن عرب أولاً أم نحن مسلمون ثانياً ؟ وبعبارة أخرى يدور الخلاف بين أنصار الهوية " القومية " والهوية الإسلامية، بكل ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية وثقافية ، ومن ناحية أخرى برز في السنوات الأخيرة على الخصوص الصراع بين أنصار الرؤية العلمانية للدولة والمجتمع والثقافة، وأنصار الرؤية الإسلامية الذين يريدون إقامة الدولة الإسلامية في السياسة والمجتمع والثقافة مرحبين بالتعايش السلمي مع من يتمتعون بالهوية العربية وغيرهم بشروط معينة.(46)

وفي هذا المقام قد لا نغالي إذا قلنا بأننا اليوم يجب أن نعتبر أنفسنا في سياق معركة تحريرية جديدة هي معركة إثبات حقنا الكامل بين الهويات الثقافية حتى لا يطعن طاعن في هويتنا الحضارية.

إن الهوية العربية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية بمفهومها الغربي وعلى الأخص الأمريكي، ومع احترامنا لكل الآراء السابقة واللاحقة التي لم تعد تعطي الهوية العربية الإسلامية أهمية ، نقول : أن معظم العرب لا بديل لهم عن هذه الهوية لسبب في

منتهى البساطة، لأن الصهاينة كمثال لن يقبلوا منح العرب ، هوياتهم،و لن يقبلوا أن يصبح العرب يهودا.[47]

ولابد من التأكيد هنا على أن مفهوم الهوية العربية الإسلامية الذي نستعمله هنا ، بمعنى الهوية المشتركة لمعظم أبناء البلدان العربية من المحيط إلى الخليج ، لا يعني قط إلغاء ولا إقصاء الهويات الوطنية ولا الهويات الإثنية والطائفية، إنه لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى المتعددة والمتعايشة، كلا إن التعدد الثقافي في البلدان العربية لا يمكن إلغاؤه بل بالعكس لابد من توظيفه بوعي في أغناء الثقافة العربية الإسلامية وتوسيع مجالها الحيوي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، لابد من الأخذ في الاعتبار أن هناك تماهي بين اللغة العربية والهوية العربية أكثر مما في الثقافات الإنسانية الأخرى ، فاللغة العربية هي اللغة المشتركة بين جميع أبناء البلدان العربية، وهي لغة التراث المشترك.

ولغة العلم والثقافة، وبالتالي لغة التنمية والتحديث والأداة الوحيدة التي بها يمكن للبلدان العربية أن تدخل العالمية وتحقق المكانة اللائقة بها.

إننا لا نغالي إذا قلنا أن الغرب بمفهومه الثقافي الموروث، ثم بمفهومه المتلبس بالعولمة يترصد باللغة العربية، فهناك قلق حقيقي يساور القائمون على العولمة إلى درجة الخوف وبعضهم الآخر إلى درجة الفزع ، وذلك بسبب احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلاً عن المستقبل البعيد.

فاللغة العربية ينطق بها حوالي (270) مليوناً ، وهي تمثل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لأكثر من (850) مليون مسلم غير عربي كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فإذا لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم الوطنية، فإنهم في اضعف الإيمان يناصرونها ويحتمون بأنموذجها.

ثم أن اللغة العربية حاملة تراث وناقلة معرفة، وشاهد حي على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية ، وهي بهذا الاعتبار تخيفهم أكثر مما تخيفهم اللغة الصينية أو الهندية ، ولا يغفل هؤلاء القائمون على التنظير للعولمة الثقافية عن الرسالة الحضارية والروحية التي حملت بها اللغة العربية، وهم العارفون بمدى ارتباط الدين الإسلامي باللغة العربية. وخاصة وان مثقفيهم يعترفون بأنه " من الواضح أن الإسلام من الناحية التاريخية - والفعلية - كان له اتجاه (عولمى) عام. إلا أنه لو كان ذلك الشكل المحتمل من العولمة قد نجح، فمن المؤكد أننا كنا سنفهم الكونية المعاصرة فهماً مختلفاً ".[48]

ويعتقدون أيضاً بأن العالم سيشهد " صراع الحضارات " في القرن القادم منها الحضارة الإسلامية، والغربية واليابانية والهندوسية والكونفوشيوسية...الخ. ويزعمون أن أخطر هذه الثقافات على الغرب هي الثقافة الإسلامية والصينية .[49]

ولكن اللغة الغربية تخيف أيضاً بشيء آخر هو تميزها من بين لغات عديدة في العالم بامتداد نشاطها، إلى ما يقارب السبعة

عشر قرناً محتفظة بحيويتها ونشاطها ، فقد احتفظت بمنظومتها الصوتية والنحوية والصرفية طوال هذه القرون . وهذا لم يحدث للغة أخرى كما يشهد بذلك علم اللسانيات.

وأن الأربعة قرون كانت في ما مضى هي الحد الأقصى الذي يبدأ بعده التغير التدريجي لمكونات المنظومة اللغوية ، بينما استطاعت اللغة العربية أن تواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله، ومما يؤكد هذا القول ما ذكره الكاتب الأسباني " كاميلو جوزى سيلا " - الحاصل على جائزة نوبل في الأدب لعام -1989من إن ثورة الاتصالات التي اختزلت الزمان ستؤدى إلى انسحاب أغلب اللغات قبل نهاية القرن الواحد والعشرين، ما عدا أربع لغات هي الإنجليزية والصينية والإسبانية والعربية، وإدراجه اللغة العربية ضمن هذه المجموعة أثارت حفيظة الغرب عامة، ومنظرو العولمة خاصة، وأقامت الدنيا ولم تقعدها.

وأهمية اللغة والحفاظ عليها قضية أساسية في موضوع الهوية الوطنية، فأمريكا مثلاً والتي بدأت خليطاً من الأجناس والأعراق، لم تتوحد إلا بأحد الوسائل أبرزها التوحد على استعمال اللغة الإنجليزية. وإذا كان هناك بعض الوهن أو الخلل فهو من عندنا كعرب، لذا يجب الاهتمام بلغتنا ، وبكل ما يتصل بها ، لأن علماء اللغة ينبهون إلى أن الصراع القادم هو صراع لغوى.(50)

إن اللغة العربية تلقي بتاريخها تحدياً كبيراً أمام العلم الإنساني، وهذا التحدي يبتهج به الذين اخلصوا إلى العلم، ولكنه

يغيظ منظري العولمة الثقافية، خاصة وان اللغة العربية تعد من أهم لغات العالم التي يتراوح عددها ما بين 3600- 7000 لغة، أضف إلى ذلك أنها تصنف ضمن الألسنة التي يرتبط بها الطفل ارتباطاً أمومياً رغم الفوارق القائمة بينها وبين سائر العاميات - أو اللهجات - في مستوى جملة من المكونات الصوتية والصرفية والنحوية.

إن منظري العولمة يحاولون جادين إبعاد اللغة العربية على تحقيق عالميتها، ولأجل ذلك فهم يلصقون بها شتى التهم ويكيدون لها أبشع المكائد، من ذلك مثلاً ما صدر عن رعاة الفرانكفونية في ثوبها الثقافي الغازي، وهم يتناولون الوضع في بلدان المغرب العربي الفكرة القائلة بان التعريب هو الذي يسبب التطرف، ويزرع العنف ويصنع الإرهاب؟!

ومن المؤامرات الأخرى التي تحاك بين الفينة والأخرى ضد لغتنا في كواليس الأمم المتحدة والمنظمات الكبرى التابعة لها مثل اليونسكو،والهادفة إلى إقصاء اللغة العربية عن جملة اللغات - الرسمية المعتمدة دولياً - ومعلوم أن اللغة العربية قد اعتمدت كلغة رسمية في الأمم المتحدة في غرة يناير 1974 ،وانضمت بذلك إلى اللغات الإنجليزية والإسبانية والروسية والصينية والفرنسية

وذلك بذريعة افتقارها إلى المترجمين الفوريين للغات المعتمدة. (51)

وقد يكفي المتشكك في مناورات العولمة الثقافية المتحيزة أن

يعلم كيف استغنى عن كل أقسام البحوث المتعلقة باللغة العربية في " المركز القومي للبحث العلمي" في فرنسا تحت ذريعة إعادة الهيكلة، وكيف انحجب منبر الأدب العربي من " معهد فرنسا " المعروف ب" كوليج دي فرانس".

أضف إلى ذلك العناية الفائقة التي يوليها الحاقدين على اللغة العربية وأهلها للأقليات وما يعطونه من أهمية للهجات المحلية كالأمازيغية بهدف إنجاح مخططات التنصير باسم استعادة الهوية الامازيغية[52] .

ولا أحد يشك في أن البحث العلمي أصبح يستخدم لأجل تحقيق أهداف خبيثة، من ذلك مثلاً التمويلات المشبوهة الداعمة له من قبل الجهات الغربية، ومن بينها المؤسسات الأمريكية ومجلس الاتحاد الأوربي التي ترصد أموالاً طائلة للبحث العلمي، الفردي أو الجماعي ، فبمجرد أن تعرض فكرة إقامة ندوة أو ملتقى، على أن يكون ما تعرضه متصلاً بدراسة لهجة من اللهجات العربية، أو يكون متعلقاً بمدى تأثير استخدام اللهجة العامية في التوازن النفسي ، وتتهاطل عليك التشجيعات لو اقترحت أن يكون موضوع البحث أثر أي لغة من اللغات في اللغة العربية كاللغة التركية واللهجات البربرية أو اللغة الفرنسية أو الإنجليزية. ولن تحصل على (مليم) واحد لو اعتزمت دراسة أثر اللغة العربية في اللغة الأسبانية أو في أي لغات أجنبية أخرى . . .الخ.[53]

وفي المغرب العربي من السهل على أية مؤسسة من القطاع

العام أو الخاص إذا ما أرادت تحسين مستوى موظفيها في لغة أجنبية ما، أن تجد الدعم المالي والفني من قبل أعوان البعثات الأمريكية والإنجليزية.

ولاشك أن المسؤولين عن الثقافة العربية والعاملين في مجال العمل العربي المشترك يدركون تلك المؤامرات التي تحاك ضد لغتنا، ولذلك فهم يعتبرون اللغة العربية ليست مجرد وسيلة تعبير وتفاهم بين إنسان وآخر، أنها بحكم منطقها الداخلي، وتاريخها، وبناها وتراكيبها، رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى، يتبين ذلك من زوايا ثلاث من النظر متكاملة بعضها مع بعض :

● فاللغة أداة تلقي المعرفة، وأداة التفكير ورمزه وتجسيده، إنها الفكر نفسه في حالة العمل، فليس ثمة فكر مجرد بغير رموز لغوية، ولا تفكير، إلا في الألفاظ، وبقدر ما تكون اللغة دقيقة حية منظمة يكون الفكر دقيقاً حياً منظماً.

● واللغة من جهة أخرى تمثل ذاكرة الأمة، تختزن فيها تراثها ومفاهيمها وقيمها، فهي أداة التواصل بين الماضي والحاضر وتمثل الذاكرة الحضارية وقوام الشخصية ومناط الأصالة.

● واللغة من جهة ثالثة أداة أساسية في حركة المجتمع ونموه وذات وظيفة اجتماعية وثيقة الصلة بهذه الأمة وبتطورها المستقبلي، وبين اللغة والمجتمع علاقة متبادلة وثيقة، فلا لغة حركية بدون مجتمع حركي ولا مجتمع حركي بدون حركية تماثله وتواكبه.

واللغة العربية لهذه الأسباب جميعاً تتصل بعدة ميادين ثقافية هي من أكثر الميادين خطراً وشأناً: ففيها الخصوصية الوطنية، والوحدة السياسية، والتراث والاستمرارية الثقافية، وحيوية الفكر العلمي ، والإبداع الأدبي، ولما كانت اللغة العربية هي بالإضافة إلى ذلك كله، وقبل ذلك كله لسان القرآن المبين، فهي أيضاً متصلة بالمعتقد الديني، ولها فيه دورها المكين، في الوقت الذي تدين فيه بالبقاء والثبات الطويل. اللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأكثرها تعبيراً وأثراً بوصفها وعاء الوجدان الوطني، فلا ثقافة وطنية بدون لغة وطنية، والمناطق الثقافية كبراها وصغراها إنما يربطها بعضها إلى بعض الوحدة اللغوية في الدرجة الأولى، وكثيراً ما تندمج خلائط عرقية متباينة في إطار ثقافة قومية واحدة نتيجة للعامل اللغوي والاجتماعي الموحد، وهكذا فإن تحليل المشكل اللغوي هو في الواقع تحليل للنسيج الاجتماعي الثقافي الأولي والأساس الذي تقوم عليه الوحدة الثقافية القومية، وهذا التحليل ليس في واقعه لغويا بقدر ما هو تحليل للمجتمع وقدراته ومدى حيويته.(54)

ونظراً للتحديات التي تواجه الهوية الثقافية العربية الإسلامية، فإن المسئولين بالبلدان العربية مدعوين جميعاً إلى إنشاء مراكز علمية وثقافية للحفاظ على الهوية، ولابد في هذا الإطار من سن قوانين رادعة وإجراءات وعقوبات صارمة ضد من يستبدل اللغة العربية بلغة أجنبية.في المعاملات والملصقات

على الواجهات والمحلات التجارية وخلافها من المنشآت والشركات الوطنية.

وفي الدعاية بالإذاعات المرئية والمسموعة فلا مسخ للهوية الوطنية لصالح القوى المهيمنة المسيطرة في ظل العولمة الثقافية.

وأخيرا لابد من إعطاء المثقفون العرب المكانة اللائقة بهم، وان يأخذوا دورهم الريادي في خلق برامج توعية بشتى الوسائل والسبل، توضح من خلالها مخاطر العولمة الثقافية وسلبياتها اتجاه الهوية الوطنية، واتخاذ وسائل حماية للثقافة والهوية العربية، والتأكيد على كل ما من شأنه دعم اللغة واحترام العادات والتقاليد الاجتماعية من الغزو الثقافي الأجنبي، مع التأكيد أيضاً على أن هوية العرب هي رهن بوجودهم حاضراً ومستقبلاً .

1- مسؤولية المثقف العربي اتجاه مخاطر العولمة :

إن مسؤولية المثقف العربي اتجاه مخاطر العولمة، وما تثيره من إشكاليات حول الثقافة والهوية الثقافية العربية الإسلامية، تعود إلى مسؤولية المثقفين، كما يراها " تشو مسكي" حوالي عام 1966 ، حين نادى بأن على كل مثقف إذا تبين له الخداع الذي ينطوي عليه الخطاب السياسي أن يكشف آلياته وأن يفضح الكذب الذي يستبطنه.[55]

وهذه الوصية الجازمة شاملة للمثقف مطلقاً مهما يكن تخصصه، والدرس في ذلك هو ضرورة الدفاع عن هويتنا العربية

الإسلامية بصفة خاصة، والدفاع عن سيادة الحرية الفكرية بصفة عامة.

وحتى يؤدي المثقف العربي دوره كاملاً، لابد من القضاء على الظروف المحيطة به، والتي تزيد من الفجوة بينه وبين الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، فقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن هناك انفصام ملحوظ بين ثقافة النخبة وثقافة الجماهير، فحتى في ظل ثقافة الكتاب ووسائل الإعلام الراهنة، هناك فجوة واسعة للغاية بين النخبة المثقفة والجماهير العربية نتيجة شيوع الأمية، والتي لا تقل عن (60٪) في المجتمع العربي. وهكذا يمكن القول أنه يوجد حلقة ضيقة من المثقفين تكاد تتخاطب مع نفسها، وفي نفس الوقت توجد دائرة واسعة من الأميين لا يقرأون ولا يكتبون، يخضعون فقط لعمليات تزييف الوعي التي تمارسها وسائل الإعلام الحكومية، ومن هنا فالعقل الشعبي العربي يتشكل بعيدا عن تأثير النخبة المثقفة، والتي عجزت لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية عن أن تمد جسورها إلى الجماهير.[56]

ومن الأسباب الأخرى التي تحد من دور المثقف، إشكالية نقص الوعي التي تنتاب بعض المثقفين العرب إزاء بعض القضايا المصيرية للبلدان العربية، ويظهر ذلك جلياً في أن المثقف العربي اليوم تنقصه المعلومات في كثير من القضايا الثقافية أو السياسية، وخاصة تلك القضايا التي تتعلق بالواقع الحضاري الذي يعيشه المثقف العربي من حيث الارتباط بالهوية، إذ تثار

قضايا مثل البحث عن الذات، أو تحديد الآخر، دون أن يكون لدى المثقف المعلومات الحيوية التي عن طريقها يحدد الأرضية التي يقف عليها.

ونقص المعلومات يعني تشوهاً خطيراً في التكوين الثقافي من حيث تحديد الرؤية واتخاذ الموقف ،وهذا النقص الآن يذكرنا بالأربعينيات، عندما كان مثقفونا وكتابنا قد عانوا من نقص المعلومات حينئذ بعد الحرب العالمية الثانية، مما أحدث خداعًا في تحديد أهداف العدو الصهيوني، وهو ما أوجد خللاً في رؤية محمد هيكل (أشار في مذكراته لإلقائه بقائد صهيوني بشكل طبيعي)، واحمد لطفي السيد (الذي كان قد ذهب لافتتاح جامعة إسرائيلية في القدس)، أو طه حسين (الذي جاهد لإخراج مجلة "الكاتب المصري" وقد أتضح أن وراءها تمويلاً يهودياً)، غير بعيد عن الحركة الصهيونية.

أما الآن، فإن نقص المعلومات مع تفجر المادة الخام لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تحدث تشوها أكثر من ذي قبل لدى المثقف، خاصة أن هذه المعلومات تكيف حسب ما يراد لها، وتستخدم وسائل مازلنا متخلفين عنها ،إذ تتعامل في المراكز المتقدمة في الغرب مع المعرفة والعوامل السيكولوجية والإنجازات العلمية وما إلى ذلك فضلاً عن عمليات التبادل التكنولوجي بين تكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا المتعلقة بالهندسة الو راثية وتكنولوجيا تخليق المواد الجديدة مما لا يعمل جميعه بمعزل عن شكل (استراتيجي) محدد يستخدم ضدنا، ومن ثم إحكام القبضة

على البلدان السائرة في طريق التنمية أو البلدان الأقل نمواً. [57]

وقد يعود ذلك - أو في جانب منه - إلى عدم توفر المناخ الملائم للفكر وللإنتاج الفكري بسبب غياب حرية الفكر المسؤولة والحرية عموماً في البلدان العربية على مختلف الأصعدة، إذ ثمة حالات لا يسمح للمثقف فيها بالتعبير عن نفسه بأية وسيلة، وفي حالات أخرى يلاحق أو يعاقب إذا تجرأ وتصدى للمنع. ولكن هذا المنع الذي تقوم به الحكومة في الدرجة الأولى غير مقصور عليها، فهو قائم في المجتمع بشكل عام، في الشارع وفي المصنع في الجامعة وغيرها، وبعضنا لبعض عند التفرد الفكري خصوم الداء، بالإضافة إلى ضعف المؤسسات التي يفترض أن ترعى البحث العلمي وتشجع المثقف وتضمن نشر إنتاجه وتوزيعه وتعميمه. وتقوم بحماية المثقف وفكره معاً إذا تعرض أي منهما للملاحقات والخطر، مثل هذه المؤسسات ضعيفة إلى حد العجز ذاته وتحت ضغوط مستمرة من القوى الكابحة: الحكومة وغيرها.

هذه الأسباب لا تجعل المثقف فقط لا يعبر عن آرائه، وإنما تجعله يلجأ إلى الهجرة - ولا أحد ينكر ما تسببه هجرة الكفاءات العربية من مواطنها من خسارة ثقافية واقتصادية كبيرة - إن وجد إلى ذلك سبيلاً، وإلا وجد نفسه يعيش في حالة من الاغتراب بسبب الهوّة بينه وبين أصحاب القرار مما يجعله يعزف عن التعبير ويفضل الصمت والهرب.

2- توصيف المثقف العربي :

وقد يتساءل البعض أي نوع من المثقفين ينطبق عليه الوصف

السابق؟ وبمعنى آخر هل المثقفين جميعاً لهم نفس المواقف؟ أم إن المثقفين أشكال وأنواع؟ للإجابة عن التساؤلات السابقة نسوق المقاربة التالية لتوصيف المثقف العربي، وذلك على النحو التالي:

أ - المثقف الليبرالي :

من المعلوم أن الفكر الليبرالي الغربي قد سيطر على نخبة من المثقفين في المغرب والمشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وقدم هؤلاء المثقفين عدة إسهامات جادة من خلال أعمال الطاهر حداد وأحمد أمين والعقاد وزكي نجيب محمود وطه حسين الذي أكد في الثلاثينات في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر" إن مصر تنتمي للثقافة الغربية وليس للحضارة الشرقية.[58]

وقد نصب المثقف الليبرالي نفسه كداعية للمعرفة الاستشراقية التي تنظر إلى العرب من منظور غربي، والذي يهدف إلى إنشاء مجتمع جديد شبيه بالمجتمعات الغربية. واغرب ما يميز المثقف الليبرالي التغريبي أنه أكثر حرصاً على اللغة والثقافة الاستعمارية من المستعمر نفسه، الطاهر بنجلون يقول مثلاً أنه ترك تدريس الفلسفة في مطلع السبعينات احتجاجاً على تعريب الفلسفة في المغرب.[59]

ب - المثقف الاشتراكي / الماركسي :

وقد ظهر هذا النوع من المثقفين في خمسينات القرن العشرين، وقد استطاع أن يواكب الثورة السياسية التحررية، وإن لم يستطيع تقديم أعمال فكرية كبيرة كتلك التي قدمها سلفه، ورغم

الاعتماد على الماركسية كمنهج أيديولوجي خلال السبعينات، ومن خلال الواقعية الاشتراكية التي انتشرت في بعض الجامعات على هيئة شعارات جذبت الكثير من الشباب المتحمسين. وكانت النتيجة المعروفة.

فالمثقف الماركسي لا يهتم بتراث أمته اعتقاداً منه أن هذه الأشياء عفا عليها الزمن، والاهتمام بها لا يكون إلا من خلال المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية.

وإذا كان المثقف الليبرالي يدرس أحياناً بعض هذه الجوانب ببعض الاعتدال، فإن المثقف الماركسي تجاهلها تماماً.[60]

ج - المثقف الواعد :

أو المثقف الحق كما أطلق عليه "نوام تشومسكي" حيث يقول : المثقف الحق هو الملتزم دوماً بأمهات القضايا سواء منها ما كان متعلقاً بمصير مجتمعه أو ما كان منها متصلاً بالمجتمع الإنساني قاطبة.[61]

وقد ظهر المثقف الواعد في ظل إخفاق محاولات المثقفين المتحررين والتقدميين، بعد أن أثبتت لهم الأحداث أنهم في واد والواقع في واد آخر. وإنهم غير ما يدعون فالتاريخ والمنهجية التاريخية والعلمية تؤكد على انه لا يمكن لأي مثقف مهما تنوعت ثقافته وكبرت عبقريته أن يتجاوز الذات الجماعية التي ينتمي إليها.

بهذا المعنى فإن المثقف الحق الواعد هو الذي يعيش اللحظة التاريخية لأمته وينتمي إليها فعلاً، ويدافع عن ثقافتها وهويتها

العربية الإسلامية، لا ذلك الذي يعيش اللحظة التاريخية لسلطة النظام وللغرب والغربيين على حد سواء.[62]

3- مهام المثقف الواعد :

أجد لزاماً الاعتراف مسبقاً بأن الحديث عن مهام المثقف العربي الواعد يعتبر ضرباً من ضروب الأوهام، ما دامت الإشكالية قائمة وأقصد بها إشكالية الإلحاق التي فرضها النظام العربي على الثقافة في المجتمع العربي المعاصر، وهي إشكالية تهميش بالدرجة الأولى مارسها النظام ليس ضد الثقافة فقط بل ضد المجتمع ذاته، لقد تم تجريد الثقافة العربية والمجتمع العربي من كل مقوماتهما الأساسية.

ورغم هذه الحقيقة المرة، فإنني ازعم أنه لا تزال هناك مهام وأدوار يستطيع المثقف الواعد أن يقوم بها، من ذلك مثلاً وقوفه في وجه ثقافة الاستهلاك المعولمة، وحماية الثقافة والهوية العربية الإسلامية ضد عوامل التزييف والتذويب والتشكيك والاختراق التي يتعرضان لها، بالإضافة إلى دوره في تفعيل الثقافة العربية لكي تتبوأ المكانة اللائقة بها بين ثقافات العالم، باعتبارها ثقافة إنسانية رائدة.

ويمكن تلخيص أهم مهام المثقف العربي الواعد في الآتي :

المهمة الأولى : إن من بين مهام المثقف العربي الواعد تفعيل دور الثقافة العربية وتأكيد عالميتها، وهذا لا يتحقق بدون التخلص من ثقافة الاستهلاك اعتماداً على الذات في مواجهة التحديات التي تواجه البلدان العربية وثقافتها، وتهدف بالتالي

إلى إلغاء وجودهما، وعندما يقوم بذلك فلا يهم حينئذ أن يتهم ذلك المثقف بالتعصب والتزمت، لأنه اتهام مشبوه يهدف إلى إحباط عزيمتنا. والذين يعيبون على ذلك عليهم إن يعلموا إن فرنسا وقفت في وجه أمريكا للحفاظ على خصوصيتها الثقافية، وعليهم إن يعلموا أيضاً أنه رغم علمانية فرنسا المنفتحة على كل أبعاد الإنسان، أخذت تهتم الآن بالعامل الروحي للإنسان.(63)

المهمة الثانية : تحصين المجتمع العربي والثقافة العربية وتصليب موقفها في مواجهة المحاذير الثقافية الزاحفة إلينا كمدخل لتأدية هذا الدور التاريخي وتحمل هذه المسؤولية المصيرية، على المثقف العربي الواعد السعي الدؤوب للخروج من هذا الالتباس والحيرة إلى اليقين، وبالتالي إزالة خطر تفكك البنية الثقافية للبلدان العربية نتيجة تفكك مواقف النظام العربي إزاء القضايا المصيرية، فنقع في محظور الكيانية الثقافية بعد كل ما أصابنا من مصائب الكيانية السياسية.(64)

المهمة الثالثة : التصدي للغزو الثقافي وتحصين البلدان العربية وتوعيتها لكي لا تقع في محظور الإلغاء الثقافي الذي يلغي حضارتنا وكياننا.(65)

المهمة الرابعة : النضال من أجل إمكانية مواصلة الثقافة العربية دورها التنويري والقيادي ،ومساعدتها على استعادة شروط فاعليتها وتحويلها إلى وعي مجتمعي، يقوم المجتمع

باستخدامه على نطاق واسع، ويعيد إنتاجه كحاجة ضرورية وملحة.[66]

المهمة الخامسة : مواجهة الوضع المتردي الذي تعيشه البلدان العربية خاصة، ونحن نعيش في بداية الألفية الثالثة حالة من الفرقة والتشرذم، وقد وضح ذلك جلياً خلال حرب الخليج التي كان من نتائجها ليس انهزام العراق وحده وإنما البلدان العربية كلها.[67]

المهمة السادسة : مواجهة ثقافة التجزئة والاستهلاك بثقافة الوحدة والتضامن، ومواجهة تحديات العولمة الثقافية التي أصبحت من ابرز معالم العصر الحالي.

المهمة السابعة : الدفاع عن قضايا البلدان العربية، ومناهضة المخططات الإمبريالية عبر عولمة الثقافة والاقتصاد والتكنولوجيا.

المهمة الثامنة : الوقوف في وجه ثقافة الاستهلاك التي تحاول تهميش ثقافتنا العربية، وأن يقف في وجه القوى المعادية للعدالة الاجتماعية والتي تعمل جاهدة باستمرار على أبعاد المواطن العربي عن الوعي، مستخدمة في ذلك أساليب متعددة وعلى رأسها نشر ثقافة الاستهلاك.ونشر الأمية والخرافات والأغاني الهابطة، وما إلى ذلك بهدف تهميش البلدان العربية وتهميش وعيها، وإفساح المجال لوعي زائف يقيد ولا يحرر.

المهمة التاسعة : الوقوف في وجه أهداف العولمة التي ترمي إلى ضرب المقومات الشخصية للأمة وتشويه المخزون الحضاري للبلدان العربية والإسلامية.[68]

المهمة العاشرة : الإيمان بأهمية الثقافة العربية التي هي تعبير حسي وأصيل عن تراثنا، وهي قادرة على تطوير واقعنا الممزق، والحفاظ على خصوصيتنا الحضارية الأصيلة، كما هي قادرة على بناء مجتمع مدني ديمقراطي عصري جديد، تختفي فيه كل آثار الخوف والإرهاب وتسوده العدالة الاجتماعية.[69]

فالتاريخ يؤكد على أن الثقافة العربية الإسلامية كانت لها السيادة ، وأن حدود وطننا العربي الذي نعترف به وننتمي إليه هي حدود انتشار الثقافة العربية، وليست على الإطلاق الحدود المصطنعة التي وضعها الاستعمار والتي اصبح النظام العربي حاميا لها ومدافعا عنها إلى أبعد الحدود.

إن العولمة الثقافية تبقى مسيطرة ما دامت الانهيارات مستمرة، ومادام البديل المناهض لها غير قادر على البروز والمقاومة والتصدي، ومادام النظام العربي عاجزاً عن بناء وتحقيق الوحدة العربية في عصر التكتلات.

وبهذه النظرة التشاؤمية يمكن القول إن العولمة تكون فاعلة وحتمية مادامت البلدان العربية لا تساهم في إبداع العلم والتقنية المتطورة، فهي غير مساهمة في الحضارة المعاصرة بقدر ما هي مستهلكة.

وهذا الوضع يجعلها تتبنى شاءت أم أبت ثقافة الدول المتقدمة تكنولوجياً، ورغم إيماننا العميق بعالمية الثقافة العربية وبقدرتها على التفاعل والتحدي ، إلا إن الخوف من الواقع الراهن للمنتمين لهذه الثقافية أو المحسوبين جغرافياً على أنهم ينتمون لها، والذين

أصبحوا مستهلكين لما تنتجه ثقافة الغرب وتكنولوجيته، وغير مساهمين في الحضارة المعاصرة حيث أصبح النظام العربي مهيأ - أكثر من ذي قبل - لقبول النموذج الغربي واتخاذه قدوة ومثالا يُحتذى.

وعلى العموم فإن البلدان العربية والإسلامية تواجه خطرين : خطر الإقصاء إذا لم يواكبوا التحولات الزاحفة عليهم، وخطر الذوبان الثقافي إذا لم يحافظوا على هويتهم وثقافتهم .

"الملحـــق"

ميثاق التنوع الثقافي واحترام الهويات

ميثاق التنوع الثقافي واحترام الهويات

أن المشاركين في الملتقى العالمي الرابع حول فكر معمر القذافي " الكتاب الأخضر "

المنعقد في طرابلس بالجماهيرية العظمى في الفترة من 29/11/ 1999ف إلى 03/12/ 1999ف ، والذين ينتمون إلى جميع قارات العالم .

إذ يلتقون على أرض الجماهيرية العظمى رمز المقاومة العالمية لجميع أشكال الهيمنة والتسلط والتعالي مهتدين بفكر معمر القذافي وبنضاله التاريخي المنحاز لقضايا الشعوب والحق والسلام والحرية .

إذ يدركون أن ما يميز النوع البشري هو تعدد ثقافاته وحضاراته وتنوعها وأنه خلال مراحل التاريخ المختلفة ، ورغم فترات الصراع العارضة ، كان ذلك التنوع دافعاً للتحاور بينها وللإثراء المتبادل .

وإذ يعبرون عن بالغ قلقهم لما تتعرض له أغلب الثقافات ، من تهديد وخطر وطمس الهويات الثقافية بسبب سيادة منطق الهيمنة وانعكاسات العولمة الاقتصادية على الجوانب الثقافية في ظل الإمكانات الهائلة لتقنية الاتصالات والمواصلات والنقل وتلقي المعلومات ، وفي ظل الهيمنة الكاملة والشاملة لوسائل الإعلام الرأسمالية المركزة .

وإذ يدركـون المخاطر الجـدية التي تتـعرض لهـا بسـبب التنكر للحق في الاختلاف ، وبسبب التمسك بمنطق التعالي الثقافي وهو ما يهـيئ لتنامي مشـاعر العداء و اللاتسـامح والتطرف ، ويتـيح المناخ لترسيخ ثقافات المواجهة والصراع .

و إذ يعبرون عن اعتقادهم بأن التـعدد الثقـافي وتنوع الهويات بين البشـر ، إنما هو إثراء لـلتراث الثقـافي والحضـاري للبشـرية ، وأن الواجب الأسمى للثقافات المختلفة هو التواصل فيما.بينها ، ذلك أن غياب الحوار هو أهم أسباب التعصب والعداء والعنف في العلاقات بين الأمم والشعوب .

وإذ يؤمنون بإمكانية تسخير مكتسبات التقدم العلمي لتيسير التعـارف بين الأمم والتـواصل بين الـثقـافـات ، وتطوير الـثقـافـات الوطنية والحفاظ على الهويات .

وإذ يسترشدون بما جاء في الكتاب الأخضر ، والذي هو نتـاج وخلاصـة تجارب الشـعوب وثقـافـاتهـا ، ويضـعـون فـي اعـتـبـارهم المواثيق والاتفاقيات الدولية في هذا الشأن يعلنون ما يلي :

أولاً : -

1- حق كل أمة أو شعب في ممارسة ثقافتهما وتطويرها ونقلها عبر الأجيـال والدفاع عنها ، وهو أحد حقـوق الإنسان الجماعـية ، باعتباره جزءاً من حق الشعوب في تقرير مصيرها .

2- الاعـتراف بالثـقـافات الأخرى وتقـبلهـا واحتـرامـها والعـمل على التعرف عليها .

3- ضرورة التواصل والحوار من أجل بناء حضارة إنسانية ، لا تكون حضارة البعض ولا حضارة الأقوى ، بل حضارة الجميع بمساهمة كل الحضارات لأن كل إنسان و إن انتمى إلى ثقافته القومية فهو ينتمي إلى الثقافة الإنسانية باعتباره إنساناً .

ثانياً : -

1- أن الاعتراف بالحق في التمايز الثقافي وبالحق في المحافظة على الهوية لا يتعارض مع الأخذ بقيم الحداثة - إذ لا يوجد مفهوم موحد وقياسي للحداثة - وإن الحداثة الفعالة والتي هي في مستوى
أداء دورها هي تلك التي تتصادم مع القيم الثقافية للمجتمعات .

2- أنه ليس في هذا الميثاق ولا في الإعلان عن حق كل ثقافة في البقاء والتطوير والتفاعل مع غيرها ، ما يبيح التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، ولا يسمح باستعماله لتغذية نزعات انفصالية أو طائفية .

3- أنه لا يجوز التذرع بالمحافظ على الهوية الثقافية من أجل تقييد الحق الفردي والجماعي للإنسان في حرية التعبير وفي حرية تلقي معلومات كاملة ومن مصادر متنوعة أو من أجل حجب طائفة من المعلومات أو من أجل منع الإنسان من الإطلاع على ثقافات أخرى انتهاكاً لحق الإنسان في المعرفة وفي أن يقدم له كل شيء على حقيقته .

ثالثاً : -

يؤكدون أنه من بين وسائل تحقيق المحافظة على التعدد الثقافي واحترام الهويات الوسائل التالية :

1- ممارسة كل أهل الثقافة لحقهم في الدفاع عن ثقافاتهم واتخاذ تدابير حماية اللغة القومية والدفاع عن القيم الاجتماعية، والمحافظة على مميزات الهوية .

2- التعاون بين الأمم المهددة ثقافاتها ، وتبادل الخبرات فيما بينها .

3- الامتناع عن تحقير الثقافات الأخرى ، وتنقية مناهج التعليم والمواد الثقافية الموجهة للأطفال والشباب من كل موقف عنصري يمس بالاحترام الواجب للثقافات الأخرى ، وتضمين المناهج التعليمية مواد للتعريف بالثقافات الأخرى مع عرض عايد للقيم الحضارية لتلك الثقافات .

4- رفض أي تميز بين بني الإنسان قائم على اختلاف اللون أو الجنس أو الدين أو الانتماء الثقافي .

5- امتناع وسائل الإعلام العابرة للحدود الثقافية عن كل ما يشير إلى تشويه الثقافات الأجنبية ، ودعم ثقافة السلام التسامح وتقديم إيجابيات الثقافات الأخرى .

6- تمكين المهاجرين من استمرار ارتباطهم بثقافة أوطانهم وممارستها وعدم الحيلولة بينهم وبين تلقي أدوات الاتصال الوطنية في مهاجر هم .

7- تحرير الثقافة من الاعتبارات التجارية وعدم معاملة المنتج الثقافي باعتباره سلعة تسري عليها قواعد قانون السوق والتمسك بالسياسات الحمائية ذات الأهداف الثقافية .

8- دعم نشاطات المراكز العلمية والمنظمات والهيئات الدولية والوطنية في ميدان محاربة التعصب وتشجيع ثقافة السلام ، وفي مجالات الاهتمام بالثقافات المهمشة والمهددة .

رابعاً : -

ليس في هذا الميثاق ما يمكن أن يفسر على أنه عائق في وجه أية ثقافة في أن تسعى إلى أن تكون ذات بعد عالمي إنساني .

هوامش ومراجع الكتاب

1-السيد يسين : العولمة.. والطريق الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص 39-40

2- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس، 1990، ص 140.

3- ينظر ذلك في : محمد الجابري، المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

4 - نفس المرجع.

5- مجموعة باحثين : العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998، ص 341

6- مصطفى عبد الغني : الجات والتبعية الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص 21

7- مجموعة باحثين : العرب والعولمة، مرجع سابق، ص 326-327

8- نجاح قدور : " أية رهانات للثقافة العربية في ظل العولمة " ، بحث مقدم للمائدة المستديرة التاسعة للأساتذة العرب داخل الوطن العربي وخارجه، طرابلس، في الفترة من 23-28يوليو، 1999، ص 2.

9- عبد السلام المسدي : العولمة والعولمة المضادة، سطور للنشر، القاهرة، 1999، ص 314-315 .

10- جلال أمين : " العرب والعولمة " في: " العرب والعولمة "، أسامة الخولي (محرراً)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 168-169

11- UNDP, Human development Report 1999, Published for the UNDP N.Y., - Oxford University Press, 1999, P. 4.

12- صلاح قنصوة : تقديم كتاب: صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، سطور للنشر، القاهرة ، 1998، ص 20.

13- Dumont,L., " German Idealism in a comparative perspective: Hierarchy - in the thought of the Fichte", in: E., Walter and others, Civilization East and West. Atlantic Highlands. N.J., Humanities Press, 1984, PP. 106-111.

14- رونالد روبرتسون : العولمة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة: أحمد محمود

ونورا أمين، المجلس الأعلى للثقافة، (د.م) ، 1998، ص 96.

15- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الخطة الشاملة للثقافة العربية، مرجع سابق، ص 13.

16- نفس المرجع، ص 24.

17 - محمد الجابري : " العرب والعولمة : العولمة والهوية الثقافية، تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي" ، في: " العرب والعولمة "، اسامة الخولي (محرراً)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 297-298.

18- محمود العالم: الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1998، ص 15.

19- عبد الهادي بو طالب : أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي، مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية، الرباط، 1991، ص 107-108 .

20- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق ، ص 50.

21- محمد الجابري، العرب والعولمة، مرجع سابق، ص 298-299 .

22- نفس المرجع، ص 299.

23- حسن حنفي: " الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية والإشكال النظري" ، بحث مقدم للمائدة المستديرة التاسعة للأساتذة العرب داخل الوطن العربي وخارجه، مرجع سابق ، ص 141 .

24- حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987. وهي محاولة تدخل ضمن مشروع " التراث والتجديد"، الموقف من التراث القديم، وهو البيان النظري الأول ، القاهرة، 1980.

25- السيد يسين : العولمة والطريق الثالث، مرجع سابق، ص 41-42.

26- حسين معلوم : " التسوية في زمن العولمة: التداعيات المستقبلية لخيار العرب الاستراتيجي"، ندوة : التطورات العالمية والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، القاهرة ، 1997، ص 4.

27- ينظر ذلك في : تقديم ، زهير حطب لمجلة الفكر العربي، العدد 90، خريف 199، ص 4.

28- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق ، ص ص 13-42.

29- نفس المرجع، ص 28.

30- نفس المرجع، ص 41.

31- عبد السلام المسدي : مرجع سابق، ص 80.

32- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق ، ص 133.

33- نجاح قدور: مرجع سابق، ص 8-9.

34- السيد يسين : " الفكر العربي والزمن- أين نحن من نهضة مطلع القرن؟ " مجلة

عالم الفكر، المجلد 26، العددان 3و 4، الكويت، 1998، ص 413-414.

35- نفس المرجع ، ص 414-415.

36- محمود العالم : الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، مرجع سابق، ص 23.

37- كريم مروة: " الثقافة العربية أي مستقبل؟ أية آفاق؟ "، مجلة النهج ، العدد 12، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، سوريا ، 1997، ص 6-7.

38- وسام عبد المجيد: " صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الوعي الشعبي المصري "، مجلة السياسة الدولية، العدد 134، القاهرة، أكتوبر 1998، ص 160.

39- أمجد فؤاد : " الأمبريالية الأمريكية كيف تنظر للمواطن العربي" ، مجلة الوحدة، العدد 90، السنة 8، الرباط، مارس 1992، ص 126-127.

40- نفس المرجع، ص 124.

41- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ، ص 134.

42- نفس المرجع : ص 33-34.

43- للمزيد يمكن الرجوع إلى المؤلفات الثلاثة للدكتور محمد الجابري: المسألة الثقافة، مسألة الهوية، وكتاب : قضايا في الفكر المعاصر، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

44- عبد الإله بلقزيز: " العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ " ، في: " العرب والعولمة "، أسامة الخولي (محرراً)، مرجع سابق ، ص 319.

45- محمد الجابري : مرجع سابق ، ص 305.

46- السيد يسن : مرجع سابق، ص 45-46.

47- حسين معلوم : مرجع سابق، ص 146.

48- رونالد روبرتسون : العولمة، مرجع سابق، ص 62-63.

49- للمزيد حول هذا الموضوع : أنظر كتاب" صراع الحضارات" لمؤلفه صامويل هنتنجتون .

50- مجموعة باحثين : العرب والعولمة، مرجع سابق، ص 342.

51- عبد السلام المسدي : مرجع سابق، ص 193.

52- صالح بلعيد : " العولمة والهوية، نحو مشروع للتطور"، ورقة بحثية قدمت للمائدة المستديرة التاسعة للأساتذة العرب داخل الوطن العربي وخارجه، مرجع سابق، ص 14.

53- عبد السلام المسدي : مرجع سابق، ص 394-395.

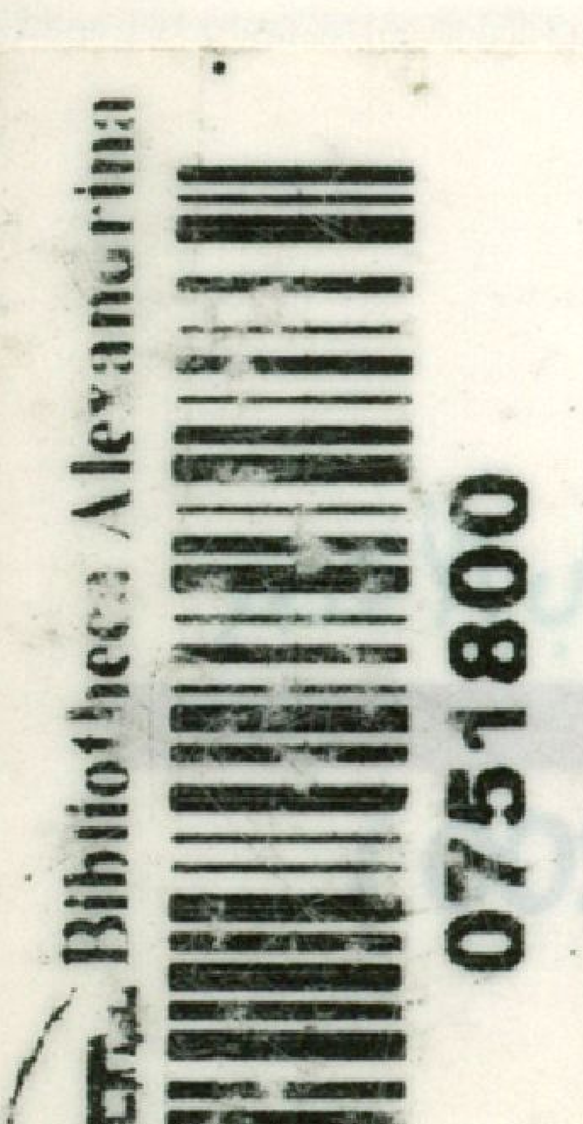
54- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ، ص 93-94.

55- أنظر ذلك في: سماح إدريس : مجلة الآداب ، العدد 6، السنة41، بيروت، يناير 1993، ص 58-71.

56- السيد يسن : مرجع سابق، ص 82.
57- مصطفي عبد الغني : مرجع سابق، ص 55-56.
58- طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1938، ص 260.
59- المختار بنعبد لاوي : " الثقافة العربية ومعطيات الواقع الراهن"، مجلة الوحدة، السنة 7، العددان 101و 102، الرباط، 1993، ص 49-50.
60- هاشم صالح : " الثقافة العربية في مواجهة الثقافة الغربية"، مجلة الوحدة، العدد 101و 102، السنة 9، الرباط، 1993، ص 16.
61- عبد السلام المسدي : مرجع سابق، ص 376.
62- لجاح قدور: مرجع سابق، ص 4.
63- عبد الله سلطان : المثقف العربي والتحديات، الدار الجماهيرية، طرابلس، 1990، ص 27.
64- كريم أبو حلاوة : " المثقف العربي وإشكالية الدور المفقود"، مجلة الوحدة، العدد 66، الرباط، مارس 1990، ص 87.
65- أنطوان المقدسي:" التحديث والتعريب في مواجهة الغزو الثقافي" ، مجلة الوحدة، العدد 3، الرباط، 1984، ص 7.
66- السيد الزيات : " المثقفون المصريون بين جدليات النشأة وإشكاليات العمل"، مجلة الوحدة، العدد 66، الرباط، مارس 1990، ص 149.
67- سعيد بن سعيد: " النضال القومي والمواجهة الثقافية"، مجلة الوحدة، العدد 10، الرباط، 1985، ص 67.
68- لجاح قدور: مرجع سابق، ص 6-7.
69- رئيف خوري : الأدب المسؤول ، دار الآداب، بيروت، 1968، ص 99.

يُعد هذا الكتاب دراسة وصفية نقدية لظاهرة العولمة بهدف الوصول إلى إمكانية تفاعل البلدان العربية معها والتأثير فيها وبمعنى آخر يعتبر هذا الكتاب مقاربة خاصة لظاهرة العولمة والإسهام في فهمها وتحليلها وتوضيح آثارها خاصة وأن العولمة أصبحت من أبرز الموضوعات التي فرضت نفسها خلال عقد التسعينات في سياق التطور العالمي على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي فقد اختلف الباحثون حول نشأتها وتطورها فقد أرجعها البعض إلى عام 1492 عام سقوط غرناطة وطرد المسلمين من أسبانيا وبداية اكتشاف العالم الجديد وبذلك اعتبروها ظاهرة تاريخية موغلة في القدم. وهناك من رأى أن العولمة هي نتاج للثورة العلمية والتكنولوجية التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية فهي إذن ظاهرة موضوعية عالمية لا يمكن إيقافها برغبة ذاتية بل يجب التكيف اللازم لعمل آلياتها بما يحقق تقدم البشرية وتقليص الأخطار التي يمكن أن تنتج عنها خصوصاً فيما يتعلق بالفوارق الاقتصادية التكنولوجية بين الدول المتقدمة والبلدان السائدة في طريق التنمية والبلدان الأقل نمواً لاستغلال إمكانيات وموارد هذه البلدان لصالح الدول المتقدمة.

وفي هذا الإطار يرى خبراء الأمم المتحدة أن العولمة فرصة متاحة لبلدان الجنوب للاستفادة من انعكاساتها الإيجابية في علاج المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها خاصة في مجال الاستفادة من نقل التكنولوجيا والاستثمارات الأجنبية المباشرة وبذلك تعتبر تطوراً من أجل صالح الإنسانية جمعاء على الرغم من اعترافهم بوجود مخاطر اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية عديدة لهذه الظاهرة.





المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب
هاتف: (218 21) 3403611 - 3403612
www.greenbookstudies.com
Info@greenbookstudies.net